مذكرات

اللورد ادوارد سسل

المستشار المالي الأسبق للحكومة المصرية

ثمن النسخة ٢٠ قرشاً

DT
70
C412
1922

مذكرات

المرحوم

اللورد ادوارد سسل

المستشار المالي الأسبق للحكومة المصرية

(تعريب)

محمد التابعي



(طبع بمطبعة الن

قناتنا على التليجرام: كتب التراث العربي والاسلامي Telegram: https://t.me/Tihama_books

920/ 17
C32l 917,c
9140

مقدمة المعرب

ظهر هذا الكتاب تحت عنوان « أوقات فراغ موظف مصرى » فى خريف سنة ١٩٢١ فتلقفته أيدي الجالية البريطانية فى مصر وما مرت بضعة أيام الا وقد نفذت جميع نسخه من مكاتب العاصمة واضطررت الى الانتظار طويلا حتي أمكنني ابتياع نسخة منه . تناولت الكتاب فما تركته الا بعد ان آتيت على آخره فى يوم واحد وكان الغيظ أظهر أثر تركه فى نفسى فلقد تناول فيه اللورد ادوارد سسل المصريين من وزراء وأعيان وموظفين بالهزء والسخرية والتنديد والتشهير ولو كان اللورد سسل موظفاً من صغار موظفى الانجليز لما أقام أحد لكلامه وآرائه وزنا ولكنه كان المستشار المالى للحكومة المصرية أى انه كان أكبر موظف أجنبي له يد فى ادارة البلاد يقول ناشر الكتاب فى كلمته الافتتاحية أن اللورد

ادوارد سسل كتب هـذه الصور » (١) بقصـد تسلية أهله وانه لم يكن ينوى نشـرها وأنا مصدقه فى ذلك لسببين: أولهما ان لغة الـكتاب ليست باللغة المتينة الصحيحة السليمة التي تـكتب بها الكتب المنوى طبعها ونشرها بل هى لغة مفـكـكة الاسلوب تغلب فيها العامية. وثانيهما أنه مهما كانت آراء اللورد سسل فى مصر ورجالها فما أظنه وقد عاش من خبرات هذا البلد زمناً طويلا كان يبلغ به نكران الجميـل والاسـتهانة بعواطف المصريين الى حد أن يسخر بهم ويضحك منهم علانية ويقذفهم في وجوههم بتلك المطاعن والمثالب التى حواها كتابه . فلنصدق اذن ان اللورد لم يكن ينوى نشر تلك الصـفحات وانه كان ينوى فقط اضحاك أهله وتسليتهم على حساب المصريين !

قال صديق انجلزى وأنا أحدثه بمثل هذا الحديث أن اللورد سسل لم يرحم أحداً في كتابه هذا بل تناول الجميع من مصريين وانجليز وأوربيـين فما نجا واحد من قوارص

(١) Sketches

لدغه وتهكمه . هذا صحيح ولكن ليس فيه كل العزاء: ضربني بحجر وكذلك ضرب آخرين ... أو يمنع عني الألم علمي بأني لست المصاب الوحيد ؟ — قال « ولكنه لم يكن ينوي نشر تلك الصفحات » ... هذا أمر ثانوي . سواء كان ينوي نشرها أو لم يكن فهذه هي آراؤه في المصريين وهذا هو مبلغ تقديره لوزرائنا وأعياننا وموظفينا .

هذا رأي انجليزي أراد الدفاع عن اللورد سسل ولكن ليس كل الانجليز بالذين يرون رأيه فلقد تحادثت مع انجليزي آخر من كبار موظفي الحكومة المصرية في شأن الكتاب وماحواه فكان آخر ماقاله عن اللورد سسل: «لقد لدغ اليد التي أطعمته !»

فكرت في تعريب الكتاب ليطلع مواطني على آراء اللورد سسل فيهم وعرضت الفكرة على صديقي الأستاذ جلال حسين ودعوته الى الاشتراك في العمل فوثب الى تحبيذ الفكرة والقبول شأنه في كل مشروع يعرض عليه ولكن عرضت له بعد ذلك مشاغل لم يستطع معها الاستمرار في التعريب فانفردت بالعمل ولقد كنت أنوي بادئ بدء

تعريب الكتاب كله ولكني انتهيت أخيراً الى الاكتفاء بتعريب ماتهم المصريين معرفته فعربت معظم « حياتي اليومية » وبعض أجزاء أخرى وأهملت السفر بالاجازة » واني أعترف بأن لغة المعرب جاءت ضعيفة بل وربما سقيمة ولا أحاول انتحال الاعذار ولكن انصافاً لنفسي أقول ان الكتاب قد كتب بما يسمونه في اللغة الانكليزية « المضارع التاريخي » وليس هو بالذي تأنس وتلين اليه اللغة العربية . أضف الى ذلك روح السخرية والتهكم الانجليزيه المحضة التي تتخلل الكتاب من أوله الى آخره والتي يصعب جداً نقلها الى العربية بلغة متينة صحيحة . — ولعل أضعف مافي التعريب عنوان الكتاب فهو في الانكليزية كما نوهت آنفاً « أوقات فراغ موظف مصري » ولكن الناشر — سامحه الله — أصر على تسمية الكتاب « مذكرات اللورد ادوارد سسل » مع انه ليس بمذكرات بالمعنى المفهوم وأسبابه لاتخفى على القارئ اللبيب . ولقد كان هذا أيضاً رأى صديقي جلال حسين

ويسرني قبل ان أختم هذه الكلمة ان أتقدم بالشكر الجزيل الى كل من صديقي جلال حسين والمستر فيلب أوفارل . الأول من أجل الجزء الذى عربه . والثانى من أجل « كلمة فى اللورد ادوارد سسل » التي تفضل بكتابتها والتي يجدها القارئ فيما يلي ؟

محمد التابعي

١٠ يونيه سنة ١٩٢٢

كلمة

عن

اللورد ادوارد سسل

بقلم

المستر فيليب أوفارل رئيس تحرير جريدة الاجبشيان ميل (١)

‏--*-*-*-*

بدأت علاقات المرحوم اللورد ادوارد سسل بالقطر المصرى كرجل جندى وانتهت كمستشار مالى للحكومة المصرية. وليس فى هاتين الوظيفتين ما يجعل تعاقبهما يبدو طبيعياً ولكن عند ماسئل انجليزى خبير ان يفسر كيفية وصول اللورد سسل الى منصبه الأخير كان جوابه « لأنه من سلالة سسل » وبدا عليه الاعتقاد بأن ذلك التعليل فيه كل مايدعو الى الاقتناع. حقيقة ان أفراداً من أسرة سسل

(١) معربة

شغلوا مدة مئات من السنين مناصباً رفيعة في حكومة انجلترا وان كل تاريخهم الوراثي وتربيتهم وتقاليدهم تؤهلهم لمثل تلك المناصب ولكن اللورد ادوارد كان يختلف من بعض الوجوه على الأقل عن معظم أفراد أسرته لا سيما بملكه لتلك الفكاهة الشيطانية التي تبدو في صفحات كتابه وتكسبها ملاحة وبهجة .

ولا يتسع المجال في هذه الكلمة الموجزة لابداء أي حكم على حياة اللورد ادوارد فهذا موضوع يترك للمؤرخ وكل ما نريده انما هو ان نوضح شيئاً من أخلاق الرجل الذي وضع هذا الكتاب الذي جاء كمفاجأة مدهشة لكل عارفيه لانه من الغريب ان أقرب أخصائه لديه لم تكن تخامرهم أقل فكرة — حتى في أحاديثه معهم — عن انه يملك شيئاً من القدرة على السخرية

وبالرغم من مولده وتربيته الارستقراطية المتناهية فقد كان رجلاً ذا نزعة وميول ديموقراطية وهو ما لم يكن يتلاءم مع الوسط الرسمي الجاف الذي كان يختلط معه ...

أو الذى كان يجب أن يختلط معه . ولذلك لم يكن من الغريب أن يحاول هؤلاء الحط من شأنه بقولهم عنه انه يختلط بالعامة من الناس . وسواء كان في النادي أو عندما كان يلعب بعض الالعاب فانه كان يختلط وينشيء صلات مودة وصداقة مع أي فرد يميل اليه من بين الطبقة العادية البسيطة بدلا من قصر صلاته على أهل الطبقة التى تساويه تقريباً فى المركز والوظيفة . ولذلك فان النتيجة كانت انه أصبح « غير محبوب »

واذا رجعنا الى ما عرفناه أو سمعناه عنه وقارناه بالشخصية التى تتجلى فى هذا الكتاب لم يعد من الصعب ان نستنتج ان اللورد ادوارد سسل كان يشعر بالوحدة والضجر بل والسآمة من المظاهر الكاذبة التى تملأ جو القاهرة والملل من القيود التي تكبل الحياة الاجتماعية بين الاوساط والجاليات الاوربية وانه كان يحاول الترويح عن نفسه بوضع هذه الصور التى تنبعث منها الفكاهة والمجون المتناهى لا لغرض سوى تفكهة أسرته ولم تكن لديه أدنى فكرة عن

نشرها عند ماقام بكتابتها. ولذلك يجب ان تؤخذ فى مجموعها كصور هزلية فقط فهى غير موجهة نحو أي أفراد معينين ولا هيئات معينـة فالكل ناله على حـد سواء نصيب من قوارص فكاهته اللاذعة

ولايضاح جانب آخر من خلق اللورد ادوارد يخلق بنا أن نورد ملاحظة أبداها قبيـل رحيله من مصر الى سويسرة حيث مات بداء الصدر الذى لازمه طويلا وكان يرجو البرء منه فى جبالها . ففى خلال مأدبة وداع أقامها له أحد أقدم أفراد الجالية البريطانية فى القاهرة حدث انهما بعد الانتهاء من العشاء جلسا لوحدهما يتجاذبان أطراف الحديث عن المسائل المصرية فكانت آخر كلمة قالها اللورد ادوارد وهو يهم بالقيام « انى ما كنت لأمكث لحظة واحدة فى هذه البلاد لو لم أكن على يقين من ان هؤلاء القوم سيصبحون يوما ما أكفاء لادارة شؤونهم بأنفسهم » .

***

ولد اللورد ادوارد سسل فى سنة ١٨٦٧ وكان رابع

أبناء المركيز الثالث من آل سالسبورى رئيس الوزراء الذي اشتهر في عهد الملكة فكتوريا . وتزوج بالآنسة فيوليت ماكس التي اقترنت بعد وفاته بالفيكونت ملنر وتلقى علومه فى كلية (ايتون) ثم اندمج في صفوف حرس الجرناديير فى سنة ١٨٨٧ واشترك في حملة دنقلة سنة ١٨٩٦ (وحاز فى أثناء خدمته في صفوفها النشان المجيدي الرابع ومدالية الخديوي ومشبكين .. الخ) ثم صحب البعثة الخصوصية التى أوفدت (برئاسة السير رنل رود) الى منليك ملك الحبشة فى سنة ١٨٩٧ ثم خدم فى صفوف الحملة المصريه التي جردت فى سنة ١٨٩٨ (ومن ضمنها حملة العطبرة) ثم اشترك في حرب جنوب افريقيا من سنة ١٨٩٩ الى سنة ١٩٠١ وعين فيما بعد وكيلا عاماً لحكومة السودان ومديراً للمخابرات بالقاهرة فوكيلا لوزارة الحربية فوكيلا للمالية الى ان عين مستشاراً للمالية فى سنة ١٩١٢ وظل يشغل هذا المنصب حتى توفي بعد ذلك بسبع سنوات . وقد أنعم عليه بالوشاح الاكبر من نشان النيل في سنة ١٩١٨

كلمة افتتاحية

كتب اللورد ادوارد سسل هذه الصور فى أوقات مختلفة خلال الثمانية عشر عاماً التى خدمها فى مصر . فاما « حياتى اليومية » ومعظم الأوراق الأخرى ومن ضمنها « السفر بالاجازة » (١) التى لم يكمل كتابتها فانه كتبها قبل الحرب بزمن طويل وليس هناك سوى جزئين فقط هما اللذان كتبهما منذ عهد قريب وهما « اللورد كتشنر » و « مراسلات رسمية »

ومع أنها قد كتبت بقصد تسلية أهله لا غير فقد رؤي أن هذه الصور التي تبين وتصف الحياة المصرية من وجهتها الاخف كافة ورسمية قد تكون ذات أهمية لجمهور أعم . وبديهى أن أشخاص الكتاب ليسوا مستمدين من أى أفراد ما .

يوليه سنة ١٩٢١

(١) لم تعرب

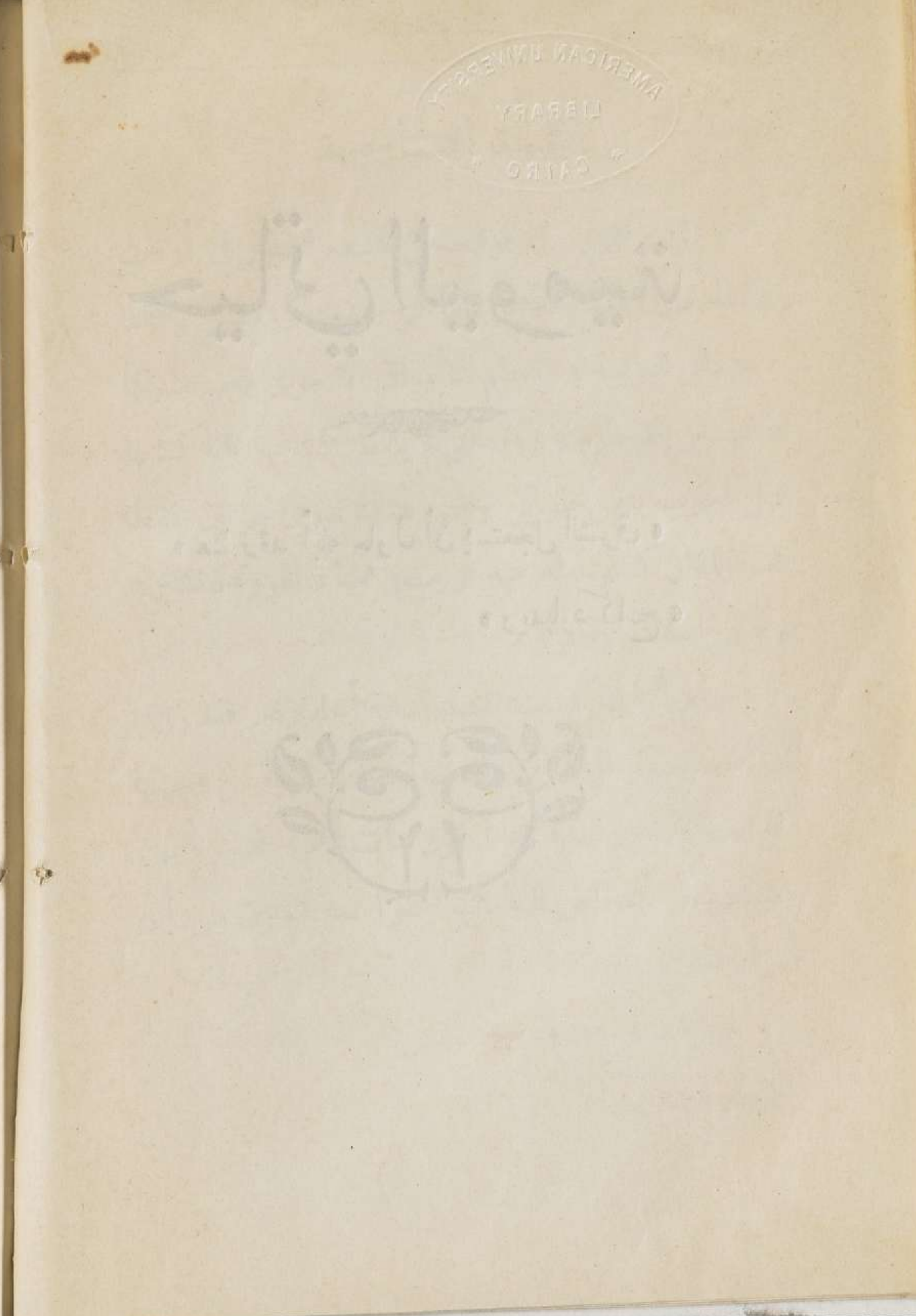
AMERICAN UNIVERSITY
LIBRARY
CAIRO

حياتي اليومية

« هنا يرقد أبله حاول أن يستعجل الشرق »

« ريديارد كبلنج »





اليقظة وتناول الفطور

ان أول ما أشعر به فى الصباح انما هى ضجة مرتبكة مصحوبة أوشبه مصحوبة بأحلامي . فهناك زلزال وقد أخذت الدار فى الهبوط والانهيار . وهناك تدور رحى معركة وقد أخذوا فى قذف الدار بالقنابل . على انه حالما تعود الى حواسي أشعر بأن ليس هناك سوى خادمى .

خادمي هذا رجل يبلغ من الطول أربعة أقدام و(حتة) وتبلغ زنة جسمه زنة كلب صيد كبير و لكنه يحدث غوغاء وضجيجاً أكثر مما يحدثه مارد من الجان . فلم يأت مرة حتى الآن الى الغرفة في الصباح الا ويحدث صوتاً مزعجاً أو يتعثر في طريقه بشيء ما وهذا الشيء يكون تارة المائدة وآونة المقعد . وفى بعض الأحيان تراه يقوم بعمله العجيب العظيم وهو ان تعثر قدمه و يقع على المائدة فيقلب الشاي و يقفل الباب بشدة — كل ذلك بحركة واحدة . — وقد نجح بعد تمرين دقيق مدة اعوام في اكتشاف كيفية

اسقاط لباس من الصوف على سجادة سميكة وجمله يحدث صوتاً يشبه صوت وقوع لوح من الخشب على أرض من البلاط .

هو مخلوق غريب ينتمي الى أمة عجيبة أهلها أناس لاتاريخ لهم بالمرة . فهم أقدم من قدماء المصريين ولكنهم عاشوا منذ أن انبثق فجر التاريخ وهم يشتغلون في تكسير الخشب وجر الماء من الآبار وانتاج عدد لاحد له من الخدم والحراس والسياس والطهاة . ولكنهم لم ينتجوا من بينهم قط رجلاً عظيماً أو حتى على شيء من العظمة . — هم قوم أذكياء وكذلك — اذا لم تفسد تربيتهم — مخلصون وليسوا مجردين من بعض الفضائل ولكن ينقصهم ذلك الشيء الذي يساعد بعض العبيد أحياناً على تسنم السلطان والعظمة بين بني جلدتهم .

واني أقول انهم لدرجة ما ذوو فضائل هذا اذا لم يفسدوا ولكن يجب أن لا يغيب عن الذاكرة انهم جميعاً فاسدون على وجه ما . وهم يختلفون آداباً وأخلاقاً من خادم الباشا

العجوز وهو خادم محترم فاضل لاعيب فيه اللهم الا النقائص الشرقية المألوفة والقليل التافه من قلة الامانة الى ذلك المخلوق الذي هو عار على الانسانية والذي يستخدمه السائح الامريكى فى فصل الشتاء . وانه لمن اكثر المناظر سروراً لنا نحن معشر المقيمين فى مصر ان نرى الشابات الامريكيات يتجاذبن أطراف الحديث ويتبادلن النكات مع رجال يأبى الواحد منا أن يكلم أمثالهم الا اذا كان ذلك لكي يطردهم من حضرته

اما خادمى فهو من خيرة الخدم على نقيض خدم أغلب أصدقائي . وانى لا أستطيع أن أفهم كيف ان أناساً قد عاشوا مدة طويلة فى هذه البلاد مثل جونس وسميث وروبنسون يقبلون خدمة هؤلاء الاوباش الذين يشتغلون لديهم . وقد يكون ذلك فيما أظن لأن قليلا منا من هم حقيقة قادرون على الحكم على الأخلاق او تفهم هؤلاء الناس أو المصريين في هذا الصدد . ولقد سمعت فعلا جونس وهو يتكلم عن خادمي بألفاظ ذم وقدح شديدة.—

انى أعترف بأنه ليس كاملا بأي وجه من الوجوه ولكن اذا قورن بأحمد خادم جونس فان خادمى سليمان يبدو ملاكا من نور

اذا ما انتهي من تنظيف غرفتي بين ضجيج و (كركبة) يخرج الملاك تصحبه قرقعة نهائية واضطر الى مغادرة فراشي ولا حول ولا قوة ! أقوم من فراشي وأمشى الى الشرفة كعادتى. وانه لمن العجيب عند ما يعيش المرؤ وحيداً بمفرده كيف انه يتبع بدون تفكير أو قصد نسقاً مخصوصاً وسلسلة واحدة من الافعال والاعمال يكررها يوماً بعد يوم . وانى أعتقد أن تداخل الآخرين فقط هو وحده الذى يجعل المرء يغير من عاداته

انى واثق من ان المنظر البادى من شرفتي فى الصباح هو منظر يستحق الاعجاب الحقيقي ولو ان من الصعب تفسير السبب ولكن لعل السر في ذلك هو ان رؤية أي شيء في الصباح المبكر بل وحتي مجرد كون الانسان مستيقظاً ساعتها امر قد اتفق بالاجماع على أنه مما يصح المرء تهنئة

نفسه عليه كما انه يحتمل أيضاً ان السبب فى ذلك يعود الى الشعور بمهارتي في الحصول على مسكن يطل على مثل هذا المنظر. وقد يكون ذلك صحيحا اذا كنت لاحظت ذلك حينما استأجرته ولكن شيئا من ذلك لم يكن. — عند ما ألقي النظرة الاولى لا أرى شيئا سوي ضباباً ابيضاً يتحرك ببطء امام نسيم الصباح العليل فاذا ما مرت دقيقة او دقيقتان و بدت الشمس فوق التلال التى خلفى وانصبغ الضباب بلون قرمزي خفيف تبدأ فى الظهور من بعيد التلال الزرقاء اللامعة الموجودة فى الصحراء الغربية وتظهر الاهرامات قاطعة خط الأفق بارزة من بين بحار السحب الوردية للون. ثم يتعاقب بعد ذلك تغيير بعد تغيير بسرعة مدهشة لايدركها العقل فتنصبغ السحب بلون الذهب المذاب الكثيف وتتراءي من وراءها بصعوبة أشجار النخل وقلوع الزوارق الرشيقة وهى تتهادى فوق سطح الماء. وفى لحظة أخري يدفع النسيم بالسحب فتتكشف المنازل المجاورة عن أشكالها المألوفة الغير جميلة ثم يزول منظر

الشروق ذو الروعة والجلال وهو منظر ولو أنني شاهدته مراراً وتكراراً الا انه مايزول مره الا ويتركني حزينا آسفا على زوال منظر جميل كهذا.

تقرع السمع ضوضاء مألوفة آتية من اسفل الشارع. هذا هو ترام الصباح . — انني اسكن داراً تطل على خط ترمواى ويكوّن الخط امام داري منحنيا لاشك أن واضع تصميمه كان كثير التفاؤل لانه اذا لم يهدء السائق السرعة الي ان تشبه زحف خنفساء عادية فان القطار يخرج عن الشريط . ولما كان من المستحيل على المصرى أن يستفيد من التجارب او يستطيع التفكير عند ما يكون الجو بارداً فان ترام الصباح يخرج عن الشريط خمسة ايام في الاسبوع . — ها أنا أراقبه وهو يقترب وها هو كالمعتاد يخرج عن الشريط ويقف . فيربط السائق (الفرملة) باعتناء ثم يفرد يديه امامه على الطريقة الوطنية المتبعة فى اظهار الاحتجاج والشكوى ويدعو السماء ان تشهد بأنه رجل سيء الحظ وان (الكومبانية) تعامله ككلب — وكذلك

ينضم اليه الكمسارى الذى قد نزل من القطار ويستمر الاثنان يندبان سوء حظهما العاثر الى أن ينوه الكمسارى بأن (الحق على السواق) فينفعل السواق ويجيبه بحدة نافيا عن نفسه التهمة مضيفا الى ذلك ان أقارب الكمسارى (ناس مالهمش أصل) ويجتمع الركاب الذين قد نزلوا أيضا من القطار ويكوّنون حلقة حول الاثنين . وبعد أن يسمعوا ملخصا قصيراً لتاريخ حياة السائق يقوم بالقائه حضرة الكمسارى ينقسمون الى قسمين يعضد كل منهما أحد الطرفين وتتم الجلبة ويعلو الصياح . وبينما تتعالى الأصوات ويشتد الصراخ ويحتدم الجدال ويكثر الاخذ والرد ويلوح كأن الامر سينتهي بمعركة تسيل فيها الدماء وهو فى الواقع غير مؤد حتي ولا الى لطمة بسيطة يقترب من الجمع شرطي نعسان . فيتظلم اليه كل واحد طالبا اليه الاخذ بناصره . اما هو (الشرطى) فانه يسب ويشتم كل واحد بدون تحيز أو محاباة ولكن على كل حال هو الوحيد الذي يخطر له القول بوجوب سير الترام فيوافقه السواق

والكمسارى وهما يصخبان ويلعنان وبمساعدة الجمع المحتشد يعيدون القطار الى فوق الشريط بتلك الطريقة الخالية من كل نظام وترتيب الباهرة النجاح التى يتبعها المصريون في معالجة الاعمال الثقيلة . ـ يأخذ كل من السواق والكمساري مكانه ويعود الركاب الى مقاعدهم ويسير الترام يتخبط في طريقه .

لما أرى ان الوقت قد أزف خصوصا وانى أريد اليوم أن أكون في المكتب مبكراً لكي أنهى كتابة المذكرة الخاصة ببيع الاراضي العمومية على طريقة الاقساط والتي ستُرسل الى جناب المستشار ولكي أدرس ايضا مسألة معاش حسن باشا يكن التي كانت دار الوكالة تسأل عنها اشرع فى الاستحمام واللبس .

اجد ماء الحمام بارداً فأزعق على سليمان فينكر تواً ان الماء بارد ولكننى لما ادخل المطبخ واريه ان الغلاية تكاد تكون بالكاد دافئة يقول انها غلاية رديئة جدا فقد كانت فيها نار حامية مدة الساعتين الاخيرتين وان كمية

الفحم التي استعملها هي حقاً من دواعي الخجل وهو ما أوافقه عليه ولكن ذلك لأني لا أمونه بالفحم وحده فحسب بل وعائلته وأصدقاءه ايضاً فانه يلوح لي من (فواتير) حساباتي ان لهم فرناً دافئاً يتمتعون به في بقعة ما. — افتح باب الغلاية واشير الى الخشب الذي لم يلتهب بعد تماماً فيستعيذ سليمان بالله من الشيطان الرجيم ويقول بأن الخادم الآخر هو الذي ...... ويتبع ذلك - او يكاد - ذكر مظالم وقبائح ذلك الشاب العديدة ولكنني اضع حداً لهذا باستنزالي اللعنات على سليمان وكل فعاله وأذعن نفسي لأخذ حمام فاتر.

ولما انتهى من لبس ثيابي ارسل في طلب عربة تقلني الى النادي لانني قد تنازلت نهائياً عن فكرة الافطار في المنزل. فسليمان (يتصور) نفسه طباخا ولكنه مخطئ لانه مهما تكن مواهبه الطبيعية في هذا الصدد فانها قد ضاعت ازاء رغبته في الاكتفاء بما حصله في حداثة سنه. ولا يمكن لطهي اي كان ان يحبب الي أكل لحم و بيض يرجع

عهده الي الاسرة الخامسة حتي ولو دفعت فيهما ثمناً كالذى تتقاضاه المطاعم . — يبدو سليمان غضباناً آسفا لانه لم يسخن لى الماء ويصحبني وهو فى حالة احتجاج صامت الى حيث يضعنى فى عربة من عربات العصور المظلمة يظهر عليها أنها قضت الليل كله ساهرة . اما السائق الذي قد لفَّ رأسه بازار يقيه شر البرد فانه يدفع الخيل الى الامام دون ان ينتظر الاوامر والتعليمات ويسير ببطء فى الطريق الخطأ . فاذا ما اخترق صوتى تضاعيف الازار الى أذنه يدير الخيل ببطء ملهباً ظهرها بالسياط لانها لم تعرف الطريق ثم تسير في الطريق المؤدية الي النادي

يلوح كالمعتاد أننى قد حصلت على احسن عربة فى الوجود وما ذلك الا لانى كلفت سليمان باستحضار عربة وهو رجل يتقاضى أجرا او عمولة عالية جدا : وان عادة اعطاء البقشيش او العمولة هذه قد تفشت بين كل الطبقات وعن كل الاعمال في هذا القطر من مهندس الرى الراقي الذي ينتظر « هدية » من صاحب الارض لاعطائه ماء

الرى الذي هو يستحقه الى ساعي المكتب الذي ينتظر (مابم بقشيش) من المتظلم الفقير الذي يود ايصال عريضة شكواه الى الرئيس الكبير . فسليمان الذى يتبع عادة البلد بكل دقة وتدين يأخذ عمولة عن كل شيء يبتاعه لى بل ومن العربجى الذى يحضره بناء على طلبي . ولكنه كما بينت سابقاً يحب المال حباً جماً ولذلك ترى شروطه عالية غالية الى حد انه لا يقبل الحضور معه الا العربات التي لا تجد (زبوناً) آخراً . وقد أخبرنى احد العربجية ان العمولة هى قرش صاغ واحد وهو مبلغ كبير اذا لوحظ ان أجرة (المشوار) هي ثلاثة قروش ونصف لاغير .

بدون ان أتعرض للبحث فى مزايا هذه الطريقة بوجه عام فان النتيجة الخاصة هى أننى الان فى عربة خيلها هيكلان من عظام وسائقها اقذر وأخشن وابلد من غالب أفراد زمرته وأما السرج فهو مصنوع من بقايا الجلد وهى مربوطة معا بخرق ودبارة وكذا غطاء المقاعد فهو ممزق بالى ونصف (الزنبلك) معوج (على جنب) وأما العجلات

فينقصها برنق أو برنقان في كل واحدة منها . — نسير نتخبط فى الطريق حتي نقابل عربة أخرى فيجر العربجي (السرع) فينقطع الطقم فى موضع أو موضعين وينزل ليصلحه بقطعة من السلك وبعض الدبارة الرفيعة وما يبدو عليه أنه رباط رقبة قديم . فاذا ماتم ذلك نسير ثانية ونحن نهتز ونتمايل الي ان (يطق الزنبلك) فجأة فنقف مرة ثانية وأنزل انا من العربة فأجد لحسن الحظ أنني على بعد مائة ياردة من النادى ولذلك امشي الى هناك تاركا العربجي ليصلح الزنبلك برباط جزمة .

لقد تخلصت منها حقيقة (على خير) لأن هذه العربات عرضة لأن يصيبها الخلل والعطل فى أي مكان وانه لمن حسن الحظ أن يحدث ذلك فى شارع غير مطروق لافى شارع تسير فيه السيارات التى يسوقها الافندية . وليست هناك حادثة ما يستحيل وقوعها لهذه العربة . ولقد حدث مرة أن العربجي اوقف الخيل بشدة فانقطع كلا « الاجامين » فى وقت واحد (لان الدوبارة التى كانت تربطهما كانت

منحولة ومن نوع واطئ على الارجح) و (تشقلب) العربجي الى الوراء فلم أشعر الا وهو جالس على ركبتي . وفي مرة أخرى ادى طيش مماثل من العربجي الى وقوع السرج بأكمله من على ظهر الخيل التي استمرت تجري في طريقها وتركتنا جالسين بكل وقار في عربة بدون خيل .

عند ما أمر بالساعة المعلقة فى صالة النادي أرى انها الساعة الثامنة وهى الساعة التي كنت أنوي ان أبدأ عملى فيها ولذلك اسرع الى قاعة الطعام واطلب اليهم الاسراع باحضار فطوري . والاصطلاح المستعمل هو « فطار بالعجل » لانه لما كان كل الخدم . اما اروام او برابرة ذو معرفة ناقصة باللغة الانجليزية فان اى طلب معقد قد يؤدي الى نتائج غير منظورة بالمره فقد حدث مرة ان عضواً من اعضاء النادى وهو شيخ وقور طلب ذات يوم (بيضاً او اي شيء يكون حداك) فأحضروا اليه سائلا خبيث اللون فى كباية وتبين (انه بيض مضروب في كنياك) . — وفطاري هو دائما واحد لايتغير وهو مكون من لحم بارد

وعجة وقهوة وهو طعام قد عرفوه بعد خبرة عشرة اعوام ولهذا فانني عادة لا اجد صعوبة فى الحصول على ما اريد .

قاعة الطعام فى نادينا اولى بأن تكون عجيبة فى بابها فهى اشبه شيء بمطعم محطة سكه حديد اجنبية من اى شيء آخر اعرفه . فالناس دائماً يدخلونها مسرعين طالبين طعامهم والخدم تراهم مسرعين جيئة وذهاباً يضعون امامك « الصنف » الخطأ الذي لم تطلبه يسرعون بالذهاب قبل ان تعترض مبينا لهم خطأهم . واما الضجة ورنين الاطباق والملاعق فأمر مفزع مخيف ولكن « النادي » على كل حال هو المكان الوحيد الذي يستطيع المرؤ ان يحصل فيه على طعام طيب بسعر اقل من السعر الذي يدفع فى مطاعم مونت كارلو .

وزيادة على كونه مطعما فان نادينا محل أشغال واعمال « لسوء الحظ » وبناء عليه فهو للموظف الكبير ذى الشأن محل عذاب شديد ومضايقة فانك تقفش من « جاكيتك » كل خطوة تخطوها فالا كثر أدبا من بين مضايقيك

يبدؤن حديثهم بقولهم لك « لا مؤاخذة فى كلمة شغل » او « لعلك لا تمانع فى ان اقول لك كلمة بخصوص الاشغال » واما الآخرون فانهم يبدؤن الكلام في الموضوع بوحشية كما لو كانوا يعلمون انك تحت رحمتهم وانهم مسرورون لذلك . — ولقد هوجمت أثناء تناول الطعام وبعد تناول الطعام وأثناء مطالعة الجرائد بل و حتى أثناء لعبي البردج الامر الذى نتجت عنه خسارة مالية لى ولشريكى . — ولقد تبعنى مرة الى المغسل رجل عجوز قوي العزيمة من طلاب الامتيازات وقعشني ورأسى تحت الحنفية . — ولكن المكان فى وقت الفطار يكون مهجوراً تقريباً و لذلك فالواحد يكون فى أمان نوعاً ما لأن معظم الاعضاء يتناولون فطارهم فى منازلهم .

عند دخولى قاعة الطعام اجد كما توقعت نحو نصف دستة اعضاء من الصنف « المكشر المبوز » وهم يلتهمون طعامهم كل على مائدة بمفرده فيرفعون رؤوسهم ويفوهون بتحية « نهارك سعيد » الاعتيادية الجافة . وذلك بلهجة تدل

صراحة على انه ليس لك ان تتذرع بتلك التحية التي قضت بها الآداب الدخول معهم فى الحديث . — وبينما أنا اجلس اذ ابصر مع الرعب الشديد بالدكتور « سمارت » وهو يتبعني داخلا القاعة . — هو محدثنا الاسكتلاندى وانى اعتقد انه لا يوقف مطلقاً ذلك الفيض المتدفق من الكلام الذى جعل الكثيرين منا يعطفون على فكرة الانتحار عطفاً اكثر من اللائق . — ولكنه والحمد لله قد جلس على مائدة الكولونيل « براون » التى توافقه لانها فى وسط القاعة ويمكنه منها ان يفيض ويتدفق على مساحة أوسع وأعم مما لو جلس فى احد الاركان . فاختفى وراء ورقة كان الساقى قد احضرها الىّ واسمع زئير غضب من الكولونل براون .

— « لى كل السرور بأن أتمنى لك صباحاً سعيدا ياحضرة الكولونيل » . فيصدر من الكولونيل زئير ألم عميق

— « آه ! كثيرا ما أعجب عن سبب هذه العادة . »

— « اوف ! » من الكولونيل

ـ « أننا نرد التحية فى اسكتلاندة برقة أكثر مما تفعلون فى انجلترا . »

ـ « اوف . »

ـ « ولكن العادة عامة فى الدنيا حتى بين أحط الشعوب فانهم يحيون بعضهم البعض عند اللقاء فى الصباح . »

ـ « اوف . اسوء الحظ » . من الكولونيل

ـ « الصباح . الصباح الجميل ! كم من أفكار بديعة قد توارت وقصائد فريدة قد صنفت في التغنى بمحاسن الصباح ! وأنى كثيراً ما أحس شخصياً بالشاعرية تختلج فى فؤادي عند ما أطل من نافذتى فى الصباح وأرى الفضاء الجميل وأشعر بنسيم الصباح العليل يهب على وجهي . آه يانى . ياسلام ! حقاً ما احلاه لاسيما فى هذه البلاد بلاد الضوء واللون . »

ـ « اوف » .

ـ هل تستيقظ مبكراً ياحضرة الكولونيل ؟ »

ـ « ملزوم . »

- « وطبعاً شأن الجندي القديم فأنت تقفز من فراشك القاسي الخشن وتسرع بأخذ حمامك البارد . »

- « أنا لا آخذ حماماً بارداً . مريض بالكبد . »

- « أنك تدهشني . لقد كنت أظن انكم جميعاً يارجال الدم والحديد تفعلون ذلك . »

هنا لم أجسر أرفع رأسي لأن الكولونيل لابد وأن يكون على وشك الاصابة باحتقان . — بودي لو انه يضرب سمارت او يصب على رأسه الشاي الغلي أو شيئاً من هذا القبيل .

- « الدم والحديد — أنه مزيج مخيف . كم يكون منظر الهجوم رائعاً مهيباً ! »

- « هل سبق لك أن اشتركت في هجوم ما ياحضرة الكولونيل ؟ »

هنا أيقن ان الأمر لن ينتهي بسلام ولكن (فلاشر) الموظف بمصلحة السجون يدخل القاعة وهو بحالته الاعتيادية من التهيج المكتوم فيحدث دخوله تغييراً في الحالة وتنصرف

اليه الانظار . وهو رجل قد تمكن منه داء التهييج وحرج الصدر القومى . — يدخل فيرعد صائحاً « هل سأحصل على فطورى أم لا أيها الخادم ؟ انك اذا لم تحضر لى فى ظرف ثانيتين طبقاً من الكلاوى فاننى سوف .... » فيجيبه الخادم وقد اخضر لونه من الرعب قائلا « الطباخ ماعندوش كلاوي — بس سمك و بيض . » — « ينعل ده نادى نادي زفت وقطران ... ! » . — أما وقد ابتدأ في لعنه وتذمره فقل سلام الله على الهدو والسكون ولكن قد انتهي والحمد لله فطوري البسيط . — انى أعجب لماذا اجد طعم كل البيض في مصر (زنخ) كأنما باضته مومياء على رأي طبيبنا الايرلندى . — لما أمر بمكتب الصراف أجد كالاعتاد ان ليس معي (فكة) وانني سأضطر الى (فك جنيه) وهذا معناه انى سأحصل على ما اسميه عملة النادى الخصوصية . فان الاعضاء الذين يجدون معهم التقليدات الفنية لعملتنا التي يزيفها اليونانى العبيط والمصري الطيب القلب يدفعونها لخزينة النادى حيث لا يدققون مطلقا فى

فخص مايدفع اليوم . على ان هذه العملة تعود ثانية الى الاعضاء . ولما كان الاعضاء لايستطيعون التخلص منها الا بالتصدق بها او بدفعها واستعمالها فى النادى فانها تبقى والأيدى تتناوبها بين اخذ وعطاء ودفع واستلام الى أن تصبح فى الواقع عملة خاصة بالنادي !!

الآن يمكنني على اي حال الحصول على عربة جيدة وهو ما احتاجه لان الساعة الآن بلغت ٨ ت ٢٥ ق وقد تأخرت نصف ساعة عن الميعاد الذي كنت حددته لنفسي . — أتبين في العربجي (معرفة قديمة) ينقلنى عادة فى الصباح الى الديوان . وعربته نظيفة بالنسبة الى باقي العربات وكذلك جياده فانها تتناول (علفا) كافيا . فيفرقع بسوطه ويضرب الخيل من غير سبب كما يفعلون جميعهم ولكنه على العموم اقل قسوة على خيله من غالب ابناء طائفته

طريقة سوقه غريبة فى بابها فاننا نبدأ رمحا قبل ان أتمكن من الجلوس فتراني اقعد فجأة وهو مايؤلمنى ويوجعنى ولكنني تعودت ذلك . ثم نمر بسرعة شديدة

حول اول منحنى و (يادو بك) نتحاشى دهس رجل عجوز يمشى في وسط الشارع وفي نيته الانتحار على ما يظهر .

وترى العربجى يصيح طول الوقت بنداءات مختلفة يحذر بها السائرين فى طريقه او الذين يظن انهم سيسيرون في طريقه فيقول صائحاً « يابويا اوع رجلك - رجليك ياخويه . عينك ياحبيبي . انت يابن كل مصيبة يا ابو اللي مابيتسماش رايح فين ؟ » ويتلو ذلك تيار من السباب والشتائم لا يسمى ولا تمكن مطلقا كتابته وان لغة القشلاقات فى الايام الخالية كانت نقية لطيفة اذا قورنت بالفاظ السباب العادى الذي يستعمل هنا فى الشوارع.

نكون طول هذا الوقت سائرين زحماً متحاشين بالكاد دهس خلق الله أو مصادمة العربات الاخرى . ويبدو الأمر كله كأنه سلسلة عجائب وخوارق لاشبيه لها ولكن الفضل فى الحقيقة يعود الى مهارة الخيل فانها سريعة كالقطط ماهرة فى تجنب الأشياء والاشخاص وانه لمن حسن الحظ أن تكون لديها مثل هذه الموهبة لانه لا يوجد احد

هنا يتبع نظام المشى فى الطرقات . اذ ان كل السائرين على
الاقدام يسيرون في منتصف الطريق أو من الجهة الخطأ
عاده وتراهم اما منهمكين فى الحديث أو انهم عمى لدرجة انهم
لايرون العربة الا وهي امام أنوفهم . وان اصيحات
السائق تأثيراً أقل مما كان ينتظره المرؤ بالنسبة لارتفاعها
وجوهر الفاظها وما ذلك الا لان كل العربجية تصيح معا
وفي وقت واحد . ولما كان العربجى يسير وقد أرخى العنان
على ظهور الخيل وامسك بها بيد واحدة فليس فى استطاعته
تسيير العربة فى الطريق الصواب وعند ما يرى ضرورة
لتغيير جهة السير تراه يجر احد اطراف السرع الى ان يشتد
ولكن ذلك يستدعي وقتاً فلا ينبه العربجى الا ويكون
غالبا الوقت قد فات ولذلك ترى العربة تعرج فى المنحنيات
بطريقة تقلب العربة لو كان ممكن قلبها وتوقع أى خيل
ماعدا هذه الخيل . ولكننا نمر بسلام دون ان يحدث لنا
حادث سوى مصادمة بسيطة مع عربة اخرى ونمر من بين ابواب
الوزارة كالو كنا على وشك الانتهاء من شوط في حلبة سباق .

المكتب

(القسم الأول)

سراي وزارتنا ليست بالبناء الجميل ولا هي بالدار الملائمة كانت أصلا ملكا لأحد الباشوات في عهد اسماعيل ثم آلت الي الحكومة لما مات صاحبها فجأة وعلى غير انتظار! وكان القسم الذى نشغله مخصصاً للحريم وأرى ولو انى لست خبيراً بهذه الامور انه كان صالحا جدا لهذا الغرض اما كديوان عمومي فانه ينقصه الشيء الكثير. فهو من الداخل عبارة عن مجموع غرف صغيرة لا تعد ولا تحصى يزحم بعضها بعضا وأغلبها لا ينفذ اليه النور الا شعاعاً ويوصلها ببعض تيه من الممرات المظلمة. — ولما كان معظم البناء قد شيد من المصيص والخشب الرقيق شأن كثير من مبانى ذلك العهد فهو دائماً ينذرنا بالانهيار ولكننا نواظب على ترميمه ، ملين النفس ان نصبح يوما ما من الثروة بدرجة يمكننا معها ان نبنى وزارة جديدة — أما زخرفه

من الداخل فليس على شيء من الفن . أهم ما فيه سقف منقوشة قد رسمت عليها صور بعض الآلهات فقاعد مذهبة مكسوة بقماش احمر خشن ثم مرايات رخيصة حقيرة قد بهت لونها وغطاها بيض الذباب .

أصعد السلم فيحرسني اثنان من السعاة وشرطي . فالساعيان مهمتهما هي ان يطردا من طريقي أناسا لا وجود لهم ولا خوف منهم . وأما الشرطي فيمشي خلفي ملتصقا بي على قدر الامكان بدون ان يطأ مؤخر قدمي . ولكنني لم أتبين حتى الآن مهمته اهي حمايتي من شر قاتل يغدر بي من الخلف او هي مراقبتي حتى لا أسرق شيئاً في طريقي !

ادخل غرفتي متأخراً ثلاثين دقيقة عن الميعاد الذي كنت حددته فارتمي على مقعدي ثم أبدأ بفتح البريد توطئة لبدء عمل اليوم .

ولو انني طبعا - شأن كل العقلاء - أكره العمل والبدأ بالعمل فان بي ذرة من التفاؤل تجعلني أجد في فتح خطاباتي لذة مخصوصة . هذا وقد يعلم الواحد منا انه قل ما يكون

في تلك الخطابات ماهو مسل بل لابد وان يكون بينها ماهو مكدر بل ربما ومؤلم ولكنه مع ذلك يؤمل ان يجد بينها يوما ما خطابا يسره حقيقة و يشجيه وهو أمل كم كان سهل تحقيقه أيام الصبا أيام كان المرؤ يكاد يطير فرحا وسروراً و يرى العالم مصبوغا بلون وردي اذا ماوصلته رقعة دعوة كان يتمناها أو جاءته من رئيس بعض كلمات مدح واطراء . اما الآن فلاجل ان يشعر بحرارة الامل ولذة الاغتباط اللتين كان يبعثهما فى نفسه أقل سبب فلا بد وان يجيئه ضمان اكيد من مصدر وثيق يعده بنعمة العافية و الثروة والسعادة لمدة عشر سنين على الاقل .

هذه افكار تدل على انني مصاب بداء الكبد لا بشيء آخر فياليتني مالعبت ذلك الدور الاخير من لعبة البردج فقد كلفني غاليا من الوجهتين : المالية والصحية . والآن فلأر ما الذي تحمله الي خطاباتى ولو انني لا اري من شكلها مايشجع على فضها .

(١) عزيزي سسل

ما الذي تقصده وزارة المالية بامرها الاخير الخاص بالدفع نقداً ؟ يمكنني ان أقول لك انه اذا كانت سياسة النخس والوخز هذه ستستمر فانني وكثيرين غيري سيضطرون الى التفكير فى اعتزال مناصبهم ... الخ

(الامضاء) ا . ورى

أى امر يكون هذا ياترى ؟ لعله منشور من قسم الحسابات لم يرق لهم فلأرسلن فى طلبه وأرمافيه — بودي لو يوجد فى العام اسبوع واحد يمر بدون ان يستقيل فيه « سي ورى » او ليته يستقيل حقيقة ويذهب الى حيث القت .

(٢) « مكتوب باللغة الفرنسية »

عزيزي اللورد

أرجو أن تشمل بعطفك الذي لا ينضب شاباً اسمه على ما أذكر احمد خيري وهو كما بلغني شاب فاضل ذو

مبادئ عالية ومعارف وافرة وان المصادر التى استقي منها معلوماتى لهى أحسن ما يكون

(الامضاء)　　　محمد سليمان

وكيل مصلحة البلدان والمبانى

احسن ما يكون ! اظنها كذلك ! انه ابن اخيه اذا لم تخنى الذاكرة وان آخر ما سمعته عن هذا الشاب الفاضل هو انه بعد ان جمع الاكتتابات لاقامة تمثال لشهداء مصر سافر الى باريس لينفق ماجمعه

(٣) سيدى العزيز

أناهز الخمسين من عمري ولم يسبق لى مطلقاً ان اتخذت مهنة ما وقد أشار على صديق يسكن بالقرب منى وأزوره كل يوم تقريباً بأن الطريقة الوحيدة لأن أشفى من ضعف الصحة الذي اشكو منه منذ بضع سنين هي أن اعيش فى الخارج مدة طويلة وهو يرى ان خير مايلائمنى بلد طقسه حار . ولقد خطرت مصر فى بالى فهل يمكنك

ان تجد لى وظيفة في الحكومة يكون عملها هينا ومرتبها متوسطاً ؟ ان خطى جيد وأنا من أكبر المعجبين بالمستر بالفور الذى تزوجت ابنة عم مربيته من احداقرباء زوجتي .

واننى مع انتظار ردكم الحسن ارجو ان تثقو انني خادمكم ؟

ملحوظه : يجب ان اضيف ان بي صمما خفيفاً

لاعجب ان كان صديقه قد اعطاه تلك النصيحة خالصة لوجه الله !

(٤) سيدي

لما كنت اعرف اهتمامكم العظيم بخير هذه البلاد القديمة التي قد اقترن باسمها أسماء كثيرين من مشاهير رجالها فانني أتجرأ بأن أعرض عليكم مشروعاً اعتقد أكيداً انه لو نفذ لكان من ورائه خير عميم لمصر عامة والطبقة الفلاحين خاصة . واني وفقا لما جرت به العادة فى مثل هذه الأحوال أرسل لكم طي هذا صورة مكتوبة

من المشروع

وأتشرف بأن اؤكد لكم اننى لازلت .... الخ

(الامضاء) ا . طبز

يرمي المشروع على مايظهر الى صناعة مخصب جديد من طوب قديم تقدمه الحكومة مجاناً . — متشكر !

***

(٥) عزيزي اللورد ادوارد

أنا واثقة من انك سوف لاترى بأساً فى كتابتي اليك بخصوص مسألة شخصية . ان شارلي العزيز قد أمسي كئيباً مهموماً لأنه لم ينعم عليه بشيء ما هذا العام.— ولو انه طبعاً لايهتم لاشياء كهذه من اجل ذاتها الا انه يتألم كثيراً حينما يرى كثيرين غيره ممن كان عملهم أقل بكثير من عمله قد أنعم عليهم بينما هو لم ينل شيئاً . وهو يشكو الىّ من ان خدمة المكتب أنفسهم قد أصبحوا يحيونه باحترام اقل من ذى قبل الامر الذي يدل على ما للمسألة من الاهمية فى عقول الوطنيين من ابناء البلاد . — هل

تظن ان فى وسعك ان تعمل شيئاً فى المسألة ؟ . — ثق انني .... الخ
آنى بروك

يالله من حيوان خسيس ! كيف هان عليه ان يغري امرأته بالكتابة الىّ ! انها خير من اثني عشر رجل مثله ولوشاءت هي لأعطيتها اى (نشان) تريد لان هذا على ما أظن هو الانعام الذى يريده لنفسه . ولكن يمكنني لحسن الحظ ان أرد بأن ليس في وسعى عمل شيء ما . ولو كان الامر فى مقدرتى لما ناله انعام ما .

(٦) عزيزى اللورد ادوارد

خطر لى عقب حديثنا الذي جرى منذ بضعة أيام انني ربما لم أكن قد بينت مركزي بياناً كافياً . ان المسألة كما تعلم معقدة جداً وأرى انصافاً لنفسى ان أعرضها كلها عليك . لذلك أرجوك — ولو انني أخشى ان يكون في ذلك تعد على وقتك الثمين — ان تمنحنى مقابلة أخرى ولى كبير الامل انك ستعفو عن لجاجتي ... الخ الخ

ج . موندارز بروزي

حقاً ان هذا لمنتهى السماجة ! لقد مكث في مكتبي
أول مرة ساعتين ترك لي بعدها صداعاً اليما وحقيبة ملأى
بمستندات طالب الي — بسخرية فيما أري — ان اقرأها على
مهل . و لقد فعلت ذلك مستعيناً باثنين من الخبراء المتمرنين
وبمنظار مكبر فتبين انها حسابات ومصاريف منزله من
سنة ١٨٨٠ الي سنة ١٨٨٧ وكان معظمها قد جمع خطأ . ثم
عاد الى ليشرح لى انه قد اعطانى خطأ مستندات اخرى
وهذا أمر كنت حذرته قبل مجيئه لأن مسألته عباره عن
دعوى وهمية يطالب فيها بتعويض لانه لم يفعل شيئاً ولأنه
لم يقتل أثناء الاضطرابات التي حدثت فى الاسكندرية
سنة ١٨٨٢ . ولو طالت يدي أولئك المشاغبين لانزلت به
عقابا صارما لأغفالهم قتله أو حرقه او اعدامه بأى شكل
كان — ولما جاءنى ثاني مرة قص على كل تاريخ حياته
الأولى وجعلني اعجب كيف انه لم ينتحر تخلصا من حياة
مملة سقيمة كهذه ولكنه لم يكد ان ينتهي فى قصته الى عام
١٨٧٩ حتي تداركتني رحمة السماء برسول من الوزير جاءنى

يطالبني اليه فانقطع بذلك تيار حديثه المتدفق و كان قد مضت على ساعة ونصف وأنا أتمتع بالاصغاء اليه - وفي ثالث مرة جاءنى قضينا ثلاث ساعات في حديث ظريف منعش تناول فيه الرجال الذين لاقاهم في أيامه الخالية: رجالا كان ولا بد اكبر عزاء لهم حينما فارقوا هذا العالم انهم قد استراحوا من ثرثرته وهذيانه - وفي رابع مرة جاءنى تناولنا دعواه الوهمية واشبعناها مراراً فحصا وتدقيقا هذا بخلاف دعاوي أخرى لكثيرين من اصدقائه الثقلاء - والآن يريد ان يعيد الكرة ولست أرى فائدة ترجى من مماطلته أو التهرب منه فهو لحوح لا يكل ولا يمل.

بينما يلوح لي انني كنت مخطئا كالعادة حينما توقعت بريداً مفرحاً واذا بى أرى لشدة فرحى انى قد أغفلت ثلاثة خطابات تحمل طابع انجلترا وكانت قد اخفت نفسها تحت مظاريف الخطابات التي قرأتها - دى حاجة عال! - فلننظر مافيها. افتح الخطاب الأول فاذا به اعلان عن معرض زهور قد أقيم منذ شهر مضى فى مكان كنت اعيش فيه

منذ خمسة سنوات . ليس في هذا ما يشجع . فلنر الخطاب الثانى فشكله أحسن

عزيزى اللورد ادوارد

لقد مضى علىّ زمن طويل وفى نيتي ان أكتب اليك ولكنني لا أدرى اي سبب كان يعوقنى دائماً عن ذلك . انى متشوقة الى سماع اخبار جميع اصدقائنا الأقدمين ولأن اعلم ما الذي يعملونه واين هم جميعا . ـ هل لا تزال سافوي ملأى كالماضي وهل انت لا تزال تلعب الجولف كل يوم ؟ اكتب الىّ وحدثنى عن كل هذا . لقد كنت اؤمل ان نحضر هذا العام الى مصر لأن شارلس محتاج الى الراحة ولكن الاطباء ارسلونا الى الرفييرا التى امقتها . أليس هذا من سوء الحظ ؟ — قابلت منذ بضعة ايام صديقا قديماً لك وهو الكولونيل بلودجر وقد سألني بشغف عن اخبارك وهو يسعى الآن فى ايجاد وظيفة لابنه فلقد تلفت صحة الولد المسكين في الجامعة واضطروا ان يخرجوه منها وليس لديه الآن

مايعمله وهو آية في الذكاء لطيف ورزين .... الخ الخ الخ
ذلك ما أدعوه (متهكما) الاعتراف بالجميل !

لقد عنيت بأمر مسز ليفر موسما كاملا : اعرتها زوجي وجعلتهم يخصصون لها ديوانا كلما سافرت وجريت وراء قضاء حوائجها ثلاث شهور طوال . ـ ارسلت الي قياما بالواجب خطاب شكر ومرت بعده سنتان لم تكتب الى فيهما سطراً واحداً والآن جاءت تسعى وتمهد الطريق توطئة لادخال بلودجر الصغير في خدمة الحكومة . ـ بلودجر الصغير من دون الناس ؟ لقد كان ابوه رئيس أطباء جيش الاحتلال في عام ١٩٠٢ وكانوا يدعونه « الوباء الذي يمشي وقت الظهيرة » لأنه كان دائما يغري معارفه الذين لا علم لهم بأمره باصطحابه في مشيات طويلة متعبة كان يشرح لهم خلالها فضائله والمؤامرة المنظمة التي كانت في وزارة الحربية والتي كان الغرض منها ان يؤخرا حقه في الحصول على شيء غير مفهوم كنهه ولا ماهيته .

سوف أرسل رداً لطيفاً وهذا اكثر مما تستحقه

فاذا مافتحت ثالث وآخر خطاب وجدت انني قد
دوفئت على صبري الجميل على بلاء لم أستحقه — هو
خطاب من ابنة أخي (أما) المحبوبه المحترمة وهو لاشك
ملآن باخبار عائلية ... الخ

عمي ن . العزيز

لقد بارحنا .... (لا أستطيع قراءة هذه الكلمة)
الى لندرة حيث نحن الآن لأننا رأينا انه بقدر ما اسرعنا
بالانتقال بقدر ما كان ذلك أصلح «ليه ؟» وانني واثقة
من انك ستوافق على رأينا هذا لأن المسألة متعبة جدا
«جداً !»

والآن دعني أكتب اليك عن موضوع أكثر ادخالا
للسرور — لقد سررنا جميعا ...... (لا أستطيع قراءتها -
أظن ان أوله حرف س) النجاح . (ما الذي فعله أو فعلته
ياترى) ولو أننا طبعا كنا متفائلين خيرا الا انه يصعب
على المرء أن يكون واثقا تماما (أظنه امتحان شقيقها

لأنني أعلم انه أدي امتحانا ما ... براڤو على شارلى !) خصوصا وان الطبيب كان مرتابا (مش باين انها حاجة كويسه . لعل المسكين كان مريضا) وكان الألم شديداً وكان ...... تقريبا فى دور الهذيان (شارلى على ما يظهر لايحب الامتحانات - قلبي معه) ولكنهم بعد ان فتحوه سكن كل شيء (مايمكنش يكون ده امتحان دى مسألة جامدة — فلنعد النظر — آه صحيح « الخراج » مش النجاح — اما خطها ملخبط صحيح) ولقد كانت فى غاية الشجاعة (مش شارلى . شخص آخر على مايظهر) — لقد سألتني (ماما) ان أقول لك ان عائلة (كأن الاسم براوتون) قادمة الى القاهرة فى ديسمبر أو يناير وتظن انهن سيقمن في فندق قريب من مسكنك ولكنها لاتتذكر الاسم بالذات . فهل لك ان تكون ملكا وتعتنى بأمرهنّ ؟ (مستقبل مفرح . من هنّ ياترى) لقد سمعت ان احدى البنات لطيفة المنظر (كم عددهن) وتظن « ماما » ان صحبتهن ستروق لك (آن تتفاءل دائما خيرا) — لا يزال

عندى كلام كثير لك ولكن البريد على وشك القيام . —
أليس ماجرى لبارت مما يوجب الحزن ؟

بنت أخيك المحبة
أما

***

(اتفرج ياسيدي) . هاك نوع الخطابات التى تصلني فتصيبني بالجنون

أولا . غادرت العائلة مكاناً ما لاسباب غير معروفة ولكن لما كانت (أما) تظن انني لابد موافق عليها فانني أستنتج انها أسباب غير مشينة — ثانياً . عملت لامرأة ما عملية انتهت بالنجاح — ثالثاً . عائلة شخص يحتمل ان يكون اسمه براوتون ستحضر خلال الشتاء و تقيم فى ناحية مجهولة وعلىّ ان أبحث عنها حتي أجدها فيها بأمل ان تطيب لى صحبتها — رابعاً . بارت — وهو ابن عمي الثانى — قد مات أو سجن او أصابه شيء من هذا القبيل .

سوف أتعب بالى طول يومي سعياوراء حل هذه المعضلات .

كلا ! لقد خاب أملي في بريد اليوم

والآن الى العمل . سأنتهي بسرعة من المسائل المعروضة عليّ وبعدها أقابل الناس الذين وعدتهم ثم امضى ساعة مابين الساعة الواحدة والساعة الثانية فى كتابة المذكرة ودعوى المعاش

أدق الجرس طالبا المستر تومكنس

مستر تومكنس هو كاتب اختزال لى ـ على الأقل هذا كان شأنه ولكنه (حشر) نفسه تدريجيا تحت لقب سكرتير وهو من قريتى الأصلية ـ أعنى لندرة ـ وعليه جل اعتمادي. — يلوح عليه هذا الصباح انه متكدر منفعل لانه يرمى بشدة على المائدة اللوح الذى كتبت عليه أسماء من سأقابلهم وعلى وجهه علامات التحدي والانفعال ـ من الغريب ان جميع الافراد الذين ينتمون الى طبقة مخصوصة فى الهيئة الاجتماعية (ينفخون) اذا مسهم الغضب . أترى هناك سبب طبي لهذا !

فلننظر الي الكشف . اثنان من رؤساء المصالح في الساعة ½ ٩ والساعة ¾ ٩ بالترتيب .

الساعة ١٠ وكيل وزارة الحقانية — الساعة ¼ ١٠ فريهر ڤون جومبنتز . يارحمن يارحيم ! هو القائم بأعمال السفارة الالمانية وهو ثقيل الظل لايطاق . —

الساعة ½ ١٠ مسيو دى سنيوريني : سنيوريني سمسار أراضي وهو عنوان السرور و الرعب معا : عنوان السرور لما يدخله على النفس من التسلية والانشراح وعنوان الرعب من اجل المبالغ الطائلة التي يحتال سنويا على كسبها من الحكومة . —

الساعة ١١ احمد بك كلام وهو (مهبول) بالآداب العربية و « محسوب » احد العظماء .

الساعة ¼ ١١ مستر سمسون . من هو مستر سمسون ؟ يظن المستر تومكنس ان له علاقه باحدى الشركات وقد ترك لى خطابا . يتبين لي من الاطلاع على الخطاب ان مستر سمسون وفاضلين آخرين هم مندوبى

« شركة بورنبو ووست استراليا » لتربية دودة القز وانهم سيمرون على لأجل ان يمرضوا على مسائل مخصوصة . — ما أظنهم الا صيادي منح وامتيازات .

هل هناك شيء آخر ؟ فيجيبني المستر تومكنس متحسراً بأن ليس هناك شيء آخر الآن ولو ان بعض الافاضل سوف يحضرون الي أكيداً على غير موعد . ثم يضيف وفي عينيه بريق الرضا ان هناك لجنة فى الساعة السادسة بعد الظهر الأمر الذي يسره لانه يعلم أنى أمقت اللجان — ما الذي يكدره يا ترى .

وبعد ان يقذف المستر تومكنس على مكتبي بأول « كوم » من الدوسيهات كما نسميها يترك الغرفة وابدأ بالنظر فى الاوراق .

يمكن تقسيم عملى الكتابى المعتاد الى نوعين وهما تغطية مسؤلية الآخرين والرد على الالغاز . ولكننا نسميهما فى المكتب امضاءات وقرارات لان هذا الطف وقعاً ونغمة — تعرض كل مسألة مصحوبة بجميع الاوراق التي تخصها من

يوم طفوليتها الاولى ويكون آخر مستند خطاب أو مذكرة فان كان المطلوب امضاءً فهو خطاب وان كان قراراً انهى مذكرة .

ومن واجبي أن أمضي الخطابات لان المفروض ان رؤساء الوزارات الاخرى يعدونها حطة من مقامهم اذا جاءتهم خطابات ممضاة من مرؤسين : هذه هي النظرية . ولكن الحقيقة هي ان المرؤسين يفضلون أن يحتموا وراء امضاء رئيسهم وهو أمر حقيقي يصدق خاصة على السوريين والمسلمين والاقباط فان لهم طرقا وألاعيبا يستدركونك بها الى الامضاء على ورقة ظاهرها برئ ثم يدلون بها فيما بعد كحجة لارتكاب مظلمة أو ما شابه . ولقد شاع فى وقت ما هذا الأمر حتى أصبح خطراً اضطررنا معه الى أن نضع حداً له وذلك بأن ننقض بكل برود القاعدة أو القرار الذى احتواه الخطاب الأصلى بحجة انه صدر خطأ . ولقد أعتبر هذا عملا دنيئاً ولكنه أوقف تلك الألاعيب التى زدنا فى تكريرهم اياها بأن أعلنا ان كاتب الخطاب

مسؤول عما يحتويه .

أما القرارات فانها بالعكس تصدر بالنسبة الى مجموع حقائق « ياسلام على دى حقائق » يبينها فى مذكرة رئيس المصلحة التي يعنيها الامر وهي تذكرني دائما بالمسائل الغامضة التي تنشرها جريدة « الصدق » لانها تختم دائما بسؤال من هذا القبيل (ما الذى يجب على زيد عمله ؟) — علاوة على هذا فهناك طبعاً مذكراتى التى أكتبها الى مجالس الوزراء أو الوزير أو المستشار أو الوكالة البريطانية كما تستدعي الحالة . ولكنها عمل من نوع مختلف لانها تعالج أموراً في السياسة والتشريع لا الاعمال الاعتيادية

أول « كبشة » دوسيهات هذا الصباح عددها سبعة عشر ويبدو عليها كلها انها هينة ماعدا اثنان

لما أشوف . — للامضاء : خطاب يفيد أولي الامر فى وزارة الاشغال العمومية انه قد وضع تحت تصرفهم اعتماد مالى قدره ١٠٠٠٠ جنيه لفتح شارع جديد في القاهرة . — خطاب لوزارة المعارف العمومية بابلاغهم ان اقتراحهم

القاضى بانشاء مدرسة جديدة للبنات في طنطا لا يمكن النظر فيه قبل تحضير الميزانية الجديدة . — خطاب لوزارة الحربية يسألهم لماذا قد تجاوزوا اعتماداً ماليا قدره ٣٠٠٠٠ جنيه بمبلغ جنيه واحد وخمس شلنات ... وهلم جرا .

أغلب المسائل المعروضة للفصل فيها سهلة أيضاً خصوصاً وقد سبق للمرء ان قضى في عدد عديد من أمثالها ولكن هناك مع ذلك مسألتان معضلتان يصح أن تكونا انموذجا لبعض المسائل التى تعرض علىّ احياناً لكى أصدر فيها قراراً . — أولها دعوى معاش

المدعو محمد الطواري يريد أن يسوّي معاشه حسب لائحة سعيد باشا لا حسب القانون الحالى . ولكن الموظفين الذين دخلوا الخدمة قبل سنة ١٨٧٥ هم فقط الذين يمكنهم أن يطالبوا بهذه الميزة وهى ميزة قيمة لأن القانون القديم كان أسخى بكثير من القانون الحالي . — محمد بك يبنى دعواه على الاسباب الآتية : —

كان دخوله فى الخدمة النظامية (بوزارة الحقانية)

في سنة ١٨٧٧ ولكنه يدعى أنه كان قبل ذلك أونباشياً ثم باشجاويشاً في مدارس الحكومة من سنة ١٨٧٤ الى سنة ١٨٧٧ فقد كانت مدارس الحكومة فى العهد القديم ذات نظام حربى . ومع ان الزمن الذي كان الشخص يقضيه كطالب عادي أو نفر بسيط « عسكرى » لم يكن يحسب له فى مدة الخدمة الا انه كانت تحسب له المده التي كان يقضيها كصف ضابط .

لهذا اذا صدقنا فى لحظة غيرة وحماس مايقوله كان ابتداء خدمته في سنة ١٨٧٤ ووجب أن يسوى معاشه حسب نصوص القانون الاقدم الاكثر سخاء .

موضع الصعوبة الحقيقى فى هذه الدعاوى هو انه لما كانت جميع سجلات تلك المدارس قد حرقت أبان ثورة سنة ١٨٨٢ فليس لدينا اى مستند ما يثبت ما اذا فلان كان فى تاريخ كذا صف ضابط أم لا .

غير انه حدث منذ بضعة سنوات ان عبقرياً فى الوزارة أفلح فى حمل الحكومة على أن تقرر انه اذا ادعي شخص

انه كان قد خدم كصف ضابط فى المدارس وأمكنه أن يقدم شهادة ممضاة من أربع من كبار موظفى الحكومة تشهد بصحة قوله تقبل منه هذه الشهادة كبينة كافية

ولقد قدم محمد بك شهادات ممضاة من سبع من هؤلاء المحترمين تشهد بأنه كان أونباشياً في المدرسة السعيدية في سنة ١٨٧٤ . — الشهادات جلية واضحة والشهود هم قاضيان فى المحكمة العليا وثلاث قواد الوية ومراقب فى وزارة الاشغال العمومية ووكيل وزارة سابق

الى هنا يبدو الامر سهلا ويجب علينا حسب قواعدنا أن نسمح لمحمد بك ان يحسب خدمته من سنة ١٨٧٤ وان يتقاضى معاشه طبقاً للائحة سعيد باشا .

غير أنه من سوء حظه كان قد تخاصم مع ابن عم له يدعي ابراهيم باشا مراد بخصوص مسألة ميراث وفاز عليه . — صعبت على ابراهيم باشا خيبته وما جرت عليه من الخسارة المالية فجاء الى . تكلمنا عن القطن والأحوال الزراعية كلاما كثيراً وأطول من المألوف ثم ذكر ابن عمه اتفاقا

بألفاظ كلها مدح وتمجيد وأثني عليه خاصة من اجل آدابه الساحرة وقال عنها عرضاً ان ابن عمه اكتسبها في باريس حينما كان في مدرسة هناك سنة ١٨٧٦ — وفي خلال تذكاراته العائلية البريئة ذكر اسم المدرسة .

كان من الطبيعي انني كتبت الى باريس بناء على هذه المعلومات فجاءتني شهادة غاية في الايضاح والدقة وهي مستخرجة من سجلات ذلك المعهد مفادها ان محمد الطواري نجل شفيق باشا رشيد وزير الاشغال العمومية لمصر حينئذ كان قد منح مكافأة — وأنا أعتقد انها (بنصيبة) لم تكتشف — في سنة ١٨٧٦ وذكر في الشهادة ان محمداً كان في هذا الوقت طالباً بالسنة الثالثة

فلما الفت متلطفاً قدر الامكان نظر محمد بك الى هذا نزع وادعى انها غلطة وقال بأن الشخص الذي ذكر في السجلات انما هو شقيقه وقد مات شاباً .

تحرينا الأمر فظهر ان بعض أقواله فقط هو صحيح لأن شقيقه المذكور كان توفى في الاستانة وهو طفل في سنة ١٨٦٧ .

ما الذي يجب على زيد (وهو انا) عمله ؟

السجل الفرنسى هو طبعاً الشهادة الصحيحة الوحيدة وما الشهادات الاخرى الا قصص خيالية خطها حب فعل الخير أو اوحى بها قدر من المال ولكن من الصعب ان تخبر هؤلاء الكذبة بقول الحق عن أنفسهم .

على كل حال سوف أرفض الطلب بأدب وبدون ابداء أسبابى ومن المرجح ان خوفهم من الافتضاح سوف يرغمهم على (بلعها من سكات) حتي ولو اجتهدوا أولا أن يوهموا قليلا و (يبلفوا حبتين)

ثانيها دعوى أرض

منذ اثنى عشر عاماً تقريباً أخذ المدعو عزيز افندى نجيب ٥٠٠ فدان من أراضى الحكومة فى مقابل قطعة أرض له كانت الحكومة محتاجة اليها لامر ما فى مكان آخر من القطر . جميع حجج البدل موجودة في الدوسيه ومرتبة على أحسن ترتيب . ولا غرابة فى ذلك فقد كان

العمل الكتابي فى مصلحة الاملاك يجرى دائما باعتناء تام ولكنهم كانوا أقل عناية فى قياس الاراضى مما هم الآن ولا شك عندى في انه كان يمكن لأي شخص في مقابل مبلغ بسيط من المال أن يغير فى المقاسات تغييراً معقولا .

تريد الحكومة الآن ابتياع نفس هذه الارض لمدرسة الزراعة القريبة منها فلما مسحنا الارض وجدنا ان مساحتها ٤٠٠ فدان فقط بدلا من ٥٠٠ فدان وقام المالك الحالى وهو ابن عزيز افندى يطالب الحكومة بأن ترد اليه المبلغ الذي اختلسناه من أبيه كما يدعى .

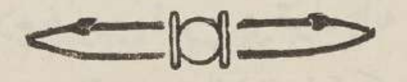
يبدو لأول وهلة ان على هذا الطلب مسحة من الحق لأننا سلمنا الارض ناقصة ١٠٠ فدان عما ذكر فى عقد نقل الملكية ولكن اذا فحصنا المسألة بدت نقطة أو نقطتان من شأنهما ان تغيرا من الرأي الاول . أولا . يبدو الثمن الذي قدرناه منذ اثنى عشر عاماً للخمسمائة فدان الاسمية واطئاً جدا ولكنك اذا اخذت مساحة الارض الحقيقية وقسمت عليها الثمن ظهر ان مادفع انما هو ثمن المثل فى ذلك الوقت

وانما يبدو الثمن واطئا اذا حسبت الاربعمائة فدان خمسماية .

ولكن اذا فرضنا بأن فى الامر غشا وتدليساً فلأي غرض كان هذا ؟

المسألة في غاية البساطة . نال عزيز افندى الاربعمائة فدان بثمن معتدل . — حقيقة انه كان عليه أن يدفع ضريبة الارض عن ٥٠٠ فدان ولكن أين هذا بالنسبة الى قدرته على رهن ٥٠٠ فدان بدلا من ٤٠٠ رهنا عقاريا وهو مافعله ؟

وسواء أمكن لابنه أن يقاضينا الآن في المحاكم أم لم يمكنه فهذا شىء آخر ولكننى على كل حال اؤشر على الأوراق بأن « ترسل التعليمات الى قلم القضايا بأن يعارض في هذا الطلب » .



المكتب

(القسم الثاني)

هنا يدخل المستر تومكنس ويسألني اذا كنت أرغب مقابلة المستر (دريلر) رئيس مصلحة الدخل الغير مخصص . فأجيب بالتأكيد ويدخل المستر دريلر وهو (يكركب).— المستر دريلر موظف ثمين كفء الا انه (مكهرب) يسير دائماً مدفوعا بضغط قوة خطرة جدا من البخار . — يدخل فيفزع الى النقطة التي استعصت عليه في الموضوع الذي يريد البحث فيه لا الى أوله وينــدفع شارحا حججه وأسبابه فى سيل جارف من الالفاظ ثم يلمح الي بدء الموضوع بكلام غير مفهوم ويقول بأنه متأكد من ان الحل الصحيح هو الرفض الا انه لما كنت ربما أود أن أتبصر في الأمر فانه سيعود اليّ غداً ولكنه يؤمل ان الحكومة ستعضده ثم ينطاق خارجا بقوة الريح العاصفة .

(أبلع ريتي) وأطلب من المستر تومكنس أن يأتيني بالاوراق الخاصة بالموضوع حتي يمكنني ان أعرف (بس الحكاية ايه)

بعد دريلر يدخل (لانجويرثي) مدير عام الاملاك الاميرية وهو على نقيض الاول تماما لانه يدخل الغرفة متباطئا فى مشيته ويقول باز ليس عنده ما يستحق الاهتمام سوى مسألة ماريني فهل أود ان أبحث فيها ؟ — « اجل بكل تأكيد . »

بعد ان يذكر لانجويرثي أن صحته معتلة وبعد ان يسألني ما اذا كنت لا أمانع فى غلق النافذة يبدأ بالكونت ماريني .... الذي كان ذا حول وطول منذ أربعين عاما والذى كان قد أقام دعاوى مبهمة يطالب فيها ببعض أراضي الحكومة ... ثم يتدرج ببطء فى حكايته مكثراً من الشرح والتفصيل اكثاراً ينطمس معه سلك الحكاية الرقيق حتي ينتهي متعبا الى عصرنا الحالى فاذا بها القصة الطويلة المعتادة التى نسيجها الغش وسوء التصرف . — فاذا ما انتهي أقول

له ان من رأبي الابتعاد عن مارينى وتركه وشأنه وله ان يقاضينا امام المحاكم اذا شاء . — فيجيبني لانجويرثى بصوت كأنه منبعث من جوف القبر (لقد حذرت انك ستقول هذا .) ثم يخرج مترنحا فى مشيته لكي يرى في أمر جنازته على ما يظهر — لم ينتابه مطلقا مرض ما طول حياته ولكنه يعتقد ان به داء قتالاً . داء يختلف فى كل شهر فهو السل فى هذا الشهر تتراه يسعل وكان الشلل في الشهر الماضي فكان يمشي وهو يجر ساقه من خلفه — هو شخص غريب ولكنه موظف مجد مجتهد .

يدخل الآن المستر تومكنس حاملا الي خطابا من الوكالة البريطانية تسألني فيه ان اقابل المستر « دابرت لانجتون » وتصفه بانه انجليزي فاضل يحمل خطابات توصية عالية .... الخ وانه يريد ان يشترى أرضا فى مصر .

تدوم المقابلة عشرة دقائق اكتشف خلالها انه لايدري لماذا واين وكيف يريد ان يشتري الارض ثم ارسله الى لانجويرثى الذي قد اعتاد مقابلة هؤلاء الاشخاص كثيرى

الاحلام والاوهام الذين لاينثنون عن محاولة تحقيق أوهامهم الا اذا واجهتهم خيبة الحلم وذاقوا مرارة الحقائق .

زائرى الثانى هو وكيل وزارة الحقانيـة وهو مصرى ضئيل الجسم خفيف نشيط لقبوه تهكما (أوليفر تويست) اذ لاشيء يرضيه مطلقاً . — يأخـذ مجلسه و يبدأ يحدثنى ببشاشة عن الطقس والاحوال الزراعية ويذكر عرضاً واتفاقا عـدداً من المسائل المختلف عليها بين وزارتينا ثم يتدرج بالحديث تدرج ماهر متفنن الي ذكر منزله ويشرع يحدثني عن منزله الجديد الذي هو آخـذ فى بنائه بحديث يبدو منه انه يعتقد ان من الواجب على كافة الوزارات ان تشـترك فيما بينها فى تحمل نفقات البناء . ولذلك تراه قد تحصل على حجارة البناء من وزارة الاشغال العمومية بنصف ثمنها ونقلها بطريق السكة الحديدية بربع الاجرة ثم أقام على مراقبـة البناء احد أكفاء المصريين من مهندسى وزارة الاشـغال العمومية بدون اجر على الاطلاق . — والآن جاء يطلب منى ان أسأل شركة المياه ان تدخل له الماء فى

منزله مجاناً الا انني طبعاً أتوقف عن اجابة طلبه لأننا نكره ان نطلب جميلاً ما من أي شركة كانت فذلك أمر يكلفنا في النهاية اضعافاً مضاعفة . — يبتسم لذلك ويتظاهر بالموافقة ولكنه سينال مرامه في النهاية . فسوف (يخرت ويدوش ويفلق) كل واحد بأمر ماء (العرب) الى أن يضطر الخديوى أو رئيس الوزارة أو الوكالة البريطانية ان يطلبوا منا ان ننيله رغبته حباً في راحة وصفو بال الجميع .

ولقد أفرغت جعبتي معه : جربت معه الفظاظة ، حاولت المراوغة والمماطلة . قابلت ضغطه بمثله ولكن هيهات أن يفيد ذلك معه .

فاذا ما انتهينا من أمرنا يبدأ يقص على اشاعة خبيثة تلوكها الألسن عن احد زملائنا وهي قصة لم تترك قاذورة أو سفالة الا ولطخته بها : قصة يهاب الواحد منا أن يهمس بها همساً وهو في وطنه (يعني انجلترا) ولكن مثل هذه الامور تعتبر هنا من مليح الشذوذ . — ثم نفترق بعد ان نتبادل عبارات التجله والاحترام .

يعقبه زائر آخر وهو رجل طويل القامة جداً يبدو جسمه وساقاه كأنها قد صنعت من خشب ليس في حركاتها شيء طبيعي فلو (زيّق) حين يمشي لما اندهش لذلك أحد : وجهه كبير مستدير قد رُكزت عليه نصف ابتسامة وشعره قصير مفرش باعتناء الى الوراء ويدل ثبات نظرته وفراغها على انه مصاب بمنتهى ضعف البصر .

اذا مادخل غرفتي انحنى فجأة في وسطها كأنه قد داهمه على غير انتظار تشنج بطني : تشنج أقوي ارادة من ان يظهر نفسه بطريقة أخرى .

ويصيبه تشنج آخر عند ما أقدم له مقعداً . ثم يجلس عليه كأنه يؤدى تمريناً عسكرياً تحتاج كل حركة فيه بمفردها الى نداء عسكرى .

اسأله بأدب عن صحته فيصيبه تشنج آخر وبعدها يجلس محدقا بى كأننى (عينة) غريبة خاصة بعلم التشريح هذا وبدون ان يحاول قطع حبل هذا السكوت .

لما أرى انه طبقاً للقواعد البروسية قد جاء دورى

لأن أبدأ الحديث اسأله عن السبب الذى شرفني من أجله بزيارته فيذتابه تشنج مخفف ثم يخلع قفازيه بتأن ويفتح فاه الواسع ويفوه بصوت أجش عميق بما يأتي :

— «انك لطيف جداً ، انني أشكو»

لو أخذت كلماته على ظاهرها الدالة على ما كان يجب عليّ أن أتوقعه فان هيئته هيئة رجل يشكو من (ريجود بوكيريتس) أو ما شابه من الامراض . ولكنني قد ذقت مرارة التجربة فصرت لا أخدع بالالفاظ . — أقول له انني متأسف جداً لسماع ذلك وأرجوه ان يتكرم عليّ ويخبرني بالمسألة فيجيبني بصوت رجل قد اعتاد بوجه الاجمال على التنخم أكثر منه على المحادثة .

— «نريد ان نعطيكم بلاكس» (١)

يصعب عليّ قليلا ان أفهم مراده لأنني واثق من انه لا يقصد ان يعطينا مجاناً شيئاً نود الحصول عليه . اذن «نعطيكم» لابد وان تترجم بكلمة «نبيعكم» . اما

(١) Blacks جمع Black ومعناها اسود أو زنجي

ماهيـة (بلاكس) أو (پلاكس) فأمر سوف تنجلى حقيقته في سياق الحديث. — اسأله اي نوع من (اليلاكس) يشـير اليه واضغ الباء حتي تصح ان تـكون باء أو پاء حسب الحال

«فيجيبنى من النحاس الاحمر» .

زنوج من النحاس الاحمر أمر مستحيل . لابد وان تـكون ...... ثم احذر معناه فى لمحـة خاطر . هى (پلاك) . (١)

ولـكن البلاك الوحيدة التي أذكر اننا نبتاعها انما هى المصنوعة من النحاس الاصفر والتى يحملها بعض سعاتنا على أزرعتهم ولا نبتاع منها عشرينًا فى كل سـنة . ومحال أن يكون حضرته (فاق نفسـه) من أجلها . لذلك اسأله رغبة فى ازلة هـذا الالتباس « ألا تعنى انها من النحاس الاصفر ؟ »

فيجيبني بجواب لاياين « ان تعلماتى تقول بأنها من

(١) Plaques

النحاس الأحمر » (١)

فاسأله « هل يمكنك ان تخبرني عن الغرض الذى وضعت له تلك القطع المصنوعة من النحاس الاحمر ؟ »

فيجيبني الالماني المحترم « هي المبادلات »

كلا ! انني أقر بعجزى عن تفهمه . غير انه يخطر لى نظراً لتجاربى السابقة ان المسألة قد تكون غالباً شكوى من التجار الالمان فحواها انه لم يسو بينهم وبين التجار الآخرين في عطاء عن قطع من النحاس أو شئ من هذا القبيل كانت الحكومة قد أوصت بها .

أحاول مرة أخرى ان أحلّ هذا اللغز الخفى فاسأله « هل تذكر أية مصلحة من مصالح الحكومة هي التي احتاجت الى هذه القطع النحاسية ؟ » — فينعم النظر لحظة ثم يجيبنى قائلا « ليست عندي معرفة أكيدة . ولكن أظن أنتم » —

---

(١) يلاحظ ان هذا الالمانى لا يجيد اللغة الانكليزية بل هو يتكلمها بصعوبة ولكي أظهر ذلك قد ترجمت الفاظه ترجمة حرفية

ولكن ما الذي يحدو بوزارة المالية الى طلب هذه القطع النحاسية ؟

أقول له وقد تملكني اليأس « من فضلك اخبرني بالحكاية كلها لأنني لا أتذكر مسألة كانتي تذكرها ! »

فيجيبني وهو يقبع كالخنزير « أصبت . هذا أحسن. لقد نشرتم في الجريدة الرسمية اعلاناً تطالبون فيه توريد ٥٠٠،٠٠٠ لوح من النحاس الاحمر ولكن المدة قصيرة جداً لاتسمح للشرمان بتقديم عطائهم .

فاسأله « ولماذا يضرهم ذلك أكثر من غيرهم حتي بفرض ان الوقت المحدد لتقديم العطاءات قصير ؟ »

« يلزمنا وقت اطول »

« ولماذا ؟ »

« يجب ان نكتب لشرمانيا وان يجيئنا الرد وهلم »

« وكذلك تجار الامم الاخرى يا فريهر . فلماذا اذن يضر ذلك المانيا (كدت أنطقها شرمانيا) أكثر من غيرها ولم يسبق ان جاءتنا منهم أية شكوى »

ثم أقول له (ونفسى اقول له روح فى داهيـة انت وحكومتك) « سآخذ مذكرة بشـكواك يا فريهر وأرى ما اذا كان فيها شيء من الحق وسوف أخبرك بالنتيجة »

« اشكرك . سأحضر زيادة »

بعد ان يفوه بتهديده هذا يقوم واقفاً وتمر عليه ثلاثة نوبات تشنجية من نوع مؤلم جداً ثم يخرج . — اقرع الجرس فاذا مادخل المستر تومكنس اسأله اى الواح نحاسية قد أوصينا عليها اخيراً ولاى غرض قد احتجنا اليها . فينكر حانقاً اى علم له بطلب الواح نحاسية ولكنه يقول بأننا كنا اعلنا عن عطاءات لتوريد ٥٠٠٠٠٠ قطعة من العملة النحاسية .

طبعاً ! اما أنا جحش صحيح ! — لم يعرف المغفل كلمة « عملة » فسماها الواحا . — هاقد عاد اصحابنا المحترمون الشرمان الى حيلهم القديمة وطريقتهم فى ذلك سهلة بسيطة وهى انهم لايقدمون عطاء ما ولكن يتريثون الى ان يعرفوا قيمة أدنى عطاء وحينئذ يجتهدون فى "الغاء المناقصة بحجة انه

لم يكن لديهم الوقت الكافي لتقديم عطائهم أو باية حجة أخرى سخيفة كهذه . فاذا ما أعيدت المناقصة تقدموا للعطاء ولهم ميزة العلم بادنى عطاء . — اما اذا عجزوا عن تنفيذ (نصبتهم) هذه فانهم يجعلون من المسألة بابا للشكوى والتظلم ويتذرعون بها لأن يطلبوا من الحكومة المصرية ان تعيضهم عنها (بمقاولة) أخرى تدر عليهم الارباح الوافرة . — آه من سادتي الالمان أهل الظرف والاستقامة والشرف ! سوف أكتب حالا الى حضرة الفاضل وأخبره بأنني لا أرى سبباً لشكواه .

اذا ما أدخل عليَّ المستر تومكنس (سنيوريني) ارى فى عينيه بريق السرور لانه يعلم ان هذه المقابلات تنتهي دائماً بخسارة للحكومة . —

سنيوريني رجل في سن الكهولة متأنق فى زيه ولباسه على احدث طراز . قد أكسبه شعره الذي خطه الشيب هيئة الوقار . وجهه طلق صريح يبعثك على الركون اليه والثقة به عند اول لحظة تراه . — قد عاش فى رغد ونعيم

منذ بلغ سن الرجولية وما الفضل فى ذلك الا لذلك الوجه الطلق الصريح . — غذي عقله وثقفه وله المام واسع بالتاريخ والآداب . يتكلم خمس لغات بدقة وطلاقة ويعتبر من غواة الموسيقى والتصوير الذين لهم بعض الشأن . وعنده مجموعة من عاديات العصر البطليموسى تعتبر من أثمن مافى مصر . وقد نشر رسالة لا بأس بها فى الموضوع . اما فى حديثه فهو مليح النكتة سريع الخاطر له هيئة سمحة بشوشة تسر الناظرين.

وهو مع ذلك لا يأنف من الاحتيال على اخذ رداء عاجز مسكين.

بعد ان يتكلم قليلا عن حرارة الجو وما ينتظر لحصول القطن يبدأ بالكلام عن المسألة التى جاء من أجلها.

هو أستاذ فى فنه . فلا هو يتشدق بذكر التقدم والرفاهية وتلك السخافات و التفاهات التي تمجها النفس ولا هو يحاول اقناع سامعه بأنه من محبي الخير وانصار الانسانية . يبدأ باخباري بأنه او بالأحرى بان أولئك الذين

هو يمثلهم يريدون ابتياع مساحة كبرى من أراضي الحكومة الكائنة في ضواحي القاهرة وانهم ينوون بعدئذ ان يمهدوها ويخطوا فيها الشوارع ويقيموا فيها مساكناً يبيعونها للأهالى .

حقيقة انه يريد الارض بثمن بخس ولكن ان لم تبع الارض من أجل مشروع كهذا فاى فائدة ترتجيها منها الحكومة؟ خصوصاً وان ترحيف الأرض وتخطيط الشوارع وادخال المياه ومد مواسير غاز الاستصباح أمور تحتاج الى نفقات باهظة لايقوم بها الا قوم استعدوا لصرف المبالغ الطائلة . ولذلك يتعذر على الحكومة بيع هذه المساحة قطعاً صغيرة لصغار المشترين واجتناء نفس الثمرة . اضف الى ذلك ان لادخل منها وهى حالتها الحاضرة من البوار . اما اذا أقيمت فيها المساكن فانها (الحكومة) ستحصل منها على ضريبة المبانى وهو مبلغ لايستهان به

ثم يقول ولو انني (سسل) كنت رجلا من طراز اخر لبين لى المنافع التى تعود على الجمهور وعلى القطر من

تنفيذ مشروع كهذا! ولكنه يملم ان في وسعى تقدير هذه
الاشياء حق قدرها وذلك بدون حاجة لأن يخبرني هو
بها. أما هو فانه بكل صراحة لايهتم ولا يأبه للجمهور ولا
(بيصلة) — ولكنه — أوبالاحرى شركاؤه على استعداد
للقيام بكل ولاء واخلاص بتنفيذ اي اتفاق يعقدونه —
جل مرادهم انما هو الربح وهم لايخفون الحقيقة . ولكنها
طبعاً مقامرة كبرى وقد يخسرون فيها جميعهم كل مالهم
ولكنه لايظن ذلك والا لما دخل في الامر لانه
(مايتخافش عليه) — وللحكومة ان تثق من ان العمل
سوف ينفذ بكل دقة واتقان لانه اذا لم يكن الامر كذلك
فسوف يتعذر على النقابة بيع المساكن ولهذا فالمشروع محاط
باحسن وأمتن الضمانات ألا وهو الاتفاق التام بين مصلحة
النقابة ومصلحة الحكومة — صحيح ان ربح الحكومة
ليس بالربح العظيم ولكنها انما تبيع ارضاً لاسبيل لبيعها
الا لمثل هذا الغرض . وبخلاف هذا . فان هناك ضريبة
المباني ستجبيها وكذلك المنافع الغير مباشرة التي ستعود

على الجمهور العتيد الذي نسميهم يتشدقون بمصالحه . اضف الى ذلك ان الحكومة غير مجازفة بشيء مطلقاً . — ثم يذكر الثمن الذي هو مستعد لدفعه وهو ثمن ولو انه بخس الا انه مناسب اذا اعتبرنا نفقات الترحيف.... الخ

طبعاً أراه مشروعاً بديعاً شأن كل مشروعاته ولكني اعجب اين موضع الخلل ياترى .

ثم يستمر في حديثه قائلا انه لايريد عقد اتفاق معقد فليست هناك ضرورة لذلك حيث المصالح متشابهة . — كل مايريده انما هو ان يبتاع الأرض وان يتعهد بتمهيدها وما عدا ذلك فامره يرجع الى النقابة . لهذا فهو يقترح ان تسلم لهم الارض فى الحال وان يمهلوا مدة عامين لتمهيدها مع خيار المشترى عن كل مائة متر مربع ممهده — فهل لى أن اتبصر فى الامر ثم افيده وهل لي ان أتكرم بابقاء المسألة سراً مكتوماً - على اي حال فيما يتعلق بنفس المكان ؟ اذ بخلاف ذلك قد يبلغ الخبر صغار الملاك المجاورين لقطعة الأرض المذكورة والذين يبلغ عددهم العشرين أو

الثلاثين فيرفعوا أسعارهم الى حد غير معقول مع ان ابتياع أراضيهم امر ضروري لنجاح المشروع .

ثم يقول مبتهجاً ان هـذا هو كل ماعنده وانه لظرف كبير مني انى قابلته .

والآن لا بد له من ان يعود الى الاسكندرية وهى محل اقامته ليعتنى بأمر (دوكاوس) التعس صاحب المنزل الذي هو ساكن فيه — هل لم أسمع بالحكاية ؟ (ياسلام دي احسن حكاية فى الدنيا : دوكاوس الغلبان اللي عمره ستون سنة وشكله زى برميل الطرشي لازم حضرته يبصبص ... دي حكاية تموت من الضحك .) — ثم يقص عليّ حكاية كنت على وشك ان أكتبها ولكنني رجعت عن عزمي هذا فانها من تلك الحكايات التى اذا قصها سنيوريني بدت للسامع ظريفة لطيفة لايرى المرؤ بأساً فى نشرها .

فاعترف له بأنها حقيقة حكاية مضحكة وبعدها يخرج سنيوريني وهو يختال في مشيته الى حيث يركب عربته

— يدخل المستر تومكنس حاملا الىّ رسالة من

كارتر مدير عام مصلحة السكك الحديدية .

« عزيزى سل

قد وجدنا موقعاً المحطة الجديدة للبضائع ولا يمكنني الآن ان أخبرك عن الجهة بالضبط . ولكن النقابة التي تملكها قد عرضت على ان تمهدها وتسلمها فى خلال عامين بثمن معتدل وهو ثمن يقل كثيراً عما كنا ندفعه في حالة ما اذا نزعنا ملكية الارض ومهدناها لأنك تعلم ان المحاكم فى مثل هذه الاحوال تقضى علينا بدفع أثمان باهظة .

وسيبقي الأمر مكتوماً بناء على طلب النقابة لانهم الآن مشغولون بشراء أنصبة بعض صغار الملاك الأمر الذي يودون الانتهاء منه قبل ان يعلن عن المشروع . ولقد وعدتهم بان لا أخبر أحداً غير انني لا أتمالك نفسي من أخبارك سرياً بالمسألة . وانني أظن ان الارض كانت سابقاً ملكا للحكومة ولكنها بيعت أخيراً . »

ـ أعوذ بالله ! عمرى ماسمعت عن « صداقة » كهذه !

ذهب سنيوريني وخدع بكل برود ورباطة جأش رؤساء مصلحة السكك الحديدية (ولعله رشا كاتباً أو كاتبين) وأوهمهم بأن الارض ملك للنقابة ثم جاءني وقد أوشك أن ينجح في ابتياعها مني . اما قوله لكارتر بان الأرض كانت ملكا للحكومة فانما « بلغة معلم » قصد بها أن لا يرتاب كارتر أو يتطرأ اليه الشك اذا ما رأى تلك الارض مؤشرا عليها فى الخريطة بأنها من املاك الحكومة . ولما كان للسكك الحديدية مصلحة أراضي منفصلة عن باقى الحكومة فقد أمل سنيوريني ان ينسل من بيننا الاثنين .

أكلم كارتر بالتلفون وأوجه اليه بعض أسئلة . (تمام زى ما افتكرت) . لو نجح سنيوريني لكان ربحه أكثر من ۲۰۰ ٪ .

أكاد أشعر بالأسف لفشل مشروع نبيل كهذا ولكنني أجلس وأكتب اليه الخطاب الآتى :

عزيزي سنيوريني

آسف جداً لأنني نسيت غباوة مني ان الارض التي تريد شراءها ليست للبيع لأننا نحتاج اليها لبناء المحطة الجديده للبضايع. أرجوك أن تبقى هذا الخبر سراً مكتوماً.

المخلص لك ..الخ

وهكذا المرة الأولى قد أفلحت في رد كيده في نحره.

يدخل الآن احمد بك كلام وهو رجل سمين الجسم قصير القامة أحمر «قرنفلى» الوجه قصير الشعر شائبه له عينان براقتان صغيرتان سوداوان . قد تبسط فى ملبسه بغير كلفة كما يليق بأديب ذى مزاج فنى وتطربش بالطربوش القصير الدال على جماعة الوطنيين . ومع انه وطني غيور فهو صديق لى كثيراً مايزورنى ليسر الى بما فى نفسه الفياضة وليجتهد فى الحصول على شيء من المال من أجل احدى مشروعاته الأدبية أو الوطنية .

يلوح عليه اليوم أنه ثائر النفس قلق البال . اقدم له مقعداً فيرتمى عليه كأن قواه قد خذلته فلم يعد فى استطاعته

حمل ذلك العبأ الذى ما انفك يضغط على أكتافه الوطنية.

اسأله عن صحته فيقول انها بخير ثم اسأله ما اذا كان فى وسعي قضاء خدمة له فيجيبنى بأنه يشعر بخرار عزيمته وضعف قوته وبأن نفسه التي طالما قاومت متاعب الحياة وهمومها قد غدت ذليلة كئيبة .

فأبدى له أسفى وحزنى واسأله ان يبثنى شكانه اسل في وسعى ان أخفف عنه بعض آلامه فيخرج عندها منديله ويمسح دمعة تترقرق ثم يشرع يقص على تاريخه المحزن بصوت يتهدج حسرة وألماً : يبدأ يخبرنى بانه يحب وطنه منذ نعومة اظفاره حباً جماً وانه يود لو يفتديه بروحه وانه من سلالة عائلة حربية تعود افرادها أن يجودوا بارواحهم فى ميدان القتال المجيد فلا عجب ان كان ذلك قد تمشى في دمه وان أعجزه صد تيار هذا الشعور . ولو أمكنه ان يقاتل دفاعاً عن وطنه وان يجود بروحه فداء لذلك الوطن لفعل ذلك راضياً مسروراً ولسوف يلازمه الحزن طول حياته — (ومش لازم أزعل من الكلام ده) — لأنه

تغيب عن معركة التل الكبير بسبب اصابته بمرض شديد في الكبد فلولاه لجاد هناك بروحه كما استشهد أباؤه وأجداده من قبل ولأصبح اليوم نسياً منسياً من الجميع اللهم الا من نفر قليل من أصدقائه المخلصين .

وهنا تتغلب عليه ذكرى تلك الموتة المجيدة (التي ضاعت عليه) فتخونه رجوليته ويخفي وجهه بمنديله مسترسلا في البكاء والنحيب .

ولكنه يتمالك نفسه بمجهود ويسترسل قائلا : اما وقد حرم عليه ميدان القتال فانه قد اشترك دائما قلبا وقالبا ورغماً عن نصائح طبيبه المتكررة بالعمل في كل مشروع كان يرمي الى ترقية واسعاد أبناء وطنه فضحى صحته وماله (ولو ان هذا شيء حقير لديه) بل وضحى مطامحه في عالم الأدب . كل هذا في سبيل القيام بواجبه فماذا كانت النتيجة ؟ هل عضده أو شجعه أحد ؟ هل لقى من أحد قبولاً أو مساعدة ؟ كلا والف مرة كلا ! بل لقى الغيرة والحسد . ووضعوا في سبيله العوائق والحواجز أينما حل وأينما سار .

لقد اشمأزت نفسه من أعمالهم ولم يعد في وسعه الصبر فعزم على ان يلجأ الى مكة حيث يمضي بقية ايامه في التفكير ومزاولة الأدب

وهكذا يسترسل في شكاياته و نفسه (بتصعب عليه شوية بشوية) الى ان أرى انه (لازم اعمل شيء ولاّ بعدين يتشنيج او تجرى له حاجة) . — فأقول له بينما اهدؤمن ثائرة نفسه قدر جهدي انه قد غمني جداً ان اسمع بذلك الجحود والنكران الذي كافؤه به على خدماته ولكن يجب عليه ان يذكر انه لايزال لديه أصدقاء يحترمونه ويجلونه وان لايدع سفالات قوم ليس لهم فضل ولا مكانة تنال من نفسه وتؤلمها الي هذا الحد وانه لو (بس) يسر الىّ بامره لربما أمكنني القيام بخدمة له .

فيدمدم شاكراً ويقول انني كنت دائماً أبا له . — هاهي الحكاية المؤلمة : —

كان اقترح منذ زمن مضى ان تنشأ في مصر مكتبة وطنية خصيصاً لجمع وحفظ كتب المؤلفين المصريين و ان

تلحق بها غرفة للمطالعة حيث يجيء صادقو الوطنية ليشربوا نفوسهم بروح بلدهم - بلدهم المحبوبة التعسة - وأن تكون أجرة الدخول (كل نوبة بقرش تعريفة) . فقوبلت فكرته بالاستحسان وجمعت الاكتتابات ومن ضمنها مبلغ كبير تبرع به الامير احمد ابراهيم وهو - ولو انه بلا شك (مخلول شوية) - لم يكن مجنوناً بأي حال من الاحوال كما ادعى بعض الكلاب خسيسي العقول (واذا صدقتني الذاكرة فقد كان مدير مستشفى المجاذيب أحد الكلاب خسيسي العقول المشار اليهم) - وهكذا شيدوا البناء وابتاعوا كثيراً من الكتب القيمة (ومن بينها كتب سعادة البيك على ما أعتقد) ولكن المشروع وأسفاه لم يصب نجاحاً ما لأن شباب مصر لم يكونوا قد استفاقوا بعد تماماً من وهدة اليأس والقنوط التي كانت رمتهم فيها المصائب التي انتابت بلادهم التعسة المنكودة الحظ ولم يكن في وسعهم أن يقدروا حق القدر تلك التعليقات والتفاسير الدينية التي جادت بها العصور المتوسطة والتي تكون أثمن وأجزل

قسم فى الآداب المصرية نظلوا عاكفين على كتب الأدب البخس التى تمخض عنها المؤلفون الفرنسيون . فلما بقيت المكتبة مهجورة لا يقصدها قاصد ولا يطارق بابها طارق أعطوا الكتب للكتبخانة الخديوية وجعلوا البناء داراً وطنية للموسيقى والرقص . ولكن (سى كلام) يأسف لأن رجال البوليس لم يرحموا تلك الدار بل أغلقوها بحجة ان مايجري فيها كان منافياً للحشمة والآداب وكيف يمكن لقوم عديمى الشعور بجمال الفن كرجال البوليس ان يميزوا بين غث الفن وسمينه قبيحه أوحسنه ؟ (وانى لأتذكر ان تلك الدار قد اشتهرت بأنها احدى دور الموسيقي والرقص القليلة العدد جداً التي أغلقها البوليس فى مصر مع أن بوليسنا لا يمكن اتهامه مطلقاً بالتغالى فى تصنع الحشمة أو المحافظة على الآداب) ولكن ذلك العمل التعسفى ليس بالذى يعنيه الآن .

فلما فشل مشروع المكتبة المصرية وأهملوه كان لايزال فى عهدته — اي عهدة سي كلام — بعض جنيهات

قليلة قد تبقت من قيمة الاكتتابات الاصلية . فأخذ — حضرته — يفكر بجد واهتمام فيما يجب عمله بذلك المبلغ . لم ينظر فى الامر نظرا سطحيا فحسب بل اهتم له وأخذ يتبصر فيه بكل ما وهبه الله من فطنة و نباهة . اهتم له اهتماما كم أبقاه ساهرا طول ليله وكم أخذ عليه مشاعره وحواسه طول يومه .

وأخيرا خطرت له ذات يوم فكرة ظنها وحيا أوحي اليه : فكرة وثق لساعتها من انها ستنال رضاء واستحسان الجميع وهي ان يرسل المبلغ الى فقراء مكة . واعتقد وقتها اعتقادا راسخا ان عمله هذا سيوافق رغبات الجميع ولذلك لم يستشر أحدا فى المسألة الامر الذي ربما كان يفعله لو انه ظن غير ذلك .

ولو علم اى كلاب سيلاقي لكان قذف فى وجوههم القذرة الكريهة بذلك المبلغ الدنس . ولكن لما كان من المستحيل عليه ان يتصور ان في هذا العالم توجد ضلالة ودناءة نفس كهذه فانه بعث بالنقود فى اليوم التالى الى صديق له فى

مكة ليوزعها على المستحقين من فقراء ذلك البلد المقدس .-
والآن هل كان يخطر لأحد على بال أنه بدلا من ان يصفقوا لعمله اعجاباً واستحساناً تقوم أسرة الامير احمد ابراهيم الذي ظلمته لمحا كم ظلما بيناً لخدمته من ادارة املا كه ... تقوم تلك الأسرة وتدعي انه كان من الواجب رد المبلغ اليها ؟...
لم يكتفوا بهذا التلميح الفاضح بل تجاسروا ان يقولوا بان الامير احمد ابراهيم - وهو قريبهم - كان مجنوناً حينما أعطي المبلغ الاصلى ثم تمادوا فى ضلالتهم وغاصوا في قاع السفلة التي افظتهم وجاؤا اليهم يطالبونه : يطالبون احمد بك كلام الرجل الفاضل الشريف الصادق الوطنية بأن يبرز صكا يدل على ان المبلغ قد أرسل الي فقراء مكة .. فيالها من خسة ويالها من جهلة ! أوهل سمعتم عن محسن يأخذ صكا على الفقراء ! وبالرغم من احتجاجاته الوجيهة على هذه المعاملة فهم قد شرعوا فعلا يقاضونه امام المحاكم : احمد كلام (كله) الرجل الوطنى كانه رجل من عامة الناس طالبين رد هذا المبلغ الذي (على الله يكون) قد ادخل السرور

على قلوب عجزة وأرامل وأيتام مكة المكرمة .

وهنا تتغلب عليه عواطفه ثانية فيبدأ الرجل الوطني (يبيط من أول وجديد) . فآخذ في مواساته بكل ما استطيع قائلا له ان نكران الجميل هو أكثر النقائص انتشارا وان غالباً ما تسيء الناس فهم أحسن الغايات وأشرفها وان فعله هذا — وان كان بلا شك سيفهمه ويقدره حق قدره كل اصدقائه وجميع طائفة المهذبين ذوى الشعور بجمال الفن — قد لا يسهل تفسيره وتبريره امام القضاة خصوصاً وانهم قوم أقل شعور بجمال الفن من رجال البوليس انفسهم الذين يشبهونهم كثيراً في هذا الصدد . وحيث انني اعلم ان لاقيمة للمال عنده بل وأدرى انه شيء حقير لديه وحيث انه من المهم ان لا تحوم على وطني غيور مثله أية ريبة مهما كانت فاسدة وانه بالنظر الى ان القضاة جماعة (مايعرفوش فن ولا غيره) فانني بناء عليه أنصحه بأن يرد الى اؤلئك الواشين النمامين مبلغاً يساوى ذلك الذى كان أرسله الى مكة وبهذا (ينوبه وحده) الأجر والثواب .

فاذا ما سمع حضرة الوطنى هذه النصيحة (ينغم أ كثر وأ كثر) . ولكنه لما ألح عليه بأن يفكر ويتبصر فيها يعدنى بذلك ثم يقوم حزيناً مكتئباً ويودعنى وينصرف لكى بلا شك يتدبر فى أمره ولينظر من أي مصدر وطنى آخر يمكنه الحصول على المبلغ اللازم لارضاء خسيسى النفوس محبي المال أقارب الامير (المخلول) التمس الحظ . ـ وانى أذ كر بهذه المناسبة ما سمعته أخيراً من ان الامير نفسه فى كدر شديد بعد ان اصبح يعتقد انه ساقية وانهم يحرمونه من ثور يديره .

لا أدرى اذا كان (سى احمد) قد اختلس المال لنفسه او انه اضاعه فقط بسوء تصرفه ولكن الوسيلة على كل حال لأن تجعله (يمشي كريس) انما هى التظاهر بتصديق ما يقول .

اما الثلاثة « جنتلمن » الذين يحضرون الى بعد ذلك فانهم يدخلون الغرفة واحداً وراء واحد وعليهم هيئة من يحملون مسئولية تكاد تكون أ كبر وأ ثقل من ان تحملها الا كتاف .

(بابن عليهم انهم الشلة اياها) وهي المالى والمحامي والخبير المحلى

اما أولهم فهو رجل بدين وله (كرش) . ليس فى ملبسه ما يعاب عليه الا انه (متأنق) نوعاً ما وهو وجيه الطلعة ومنفوخ كالديك الرومى ومن المرجح ان أجداده كونوا طليعة جيش موسى حينما غادروا هذه الديار واهتموا اهتماماً خاصاً باستعارة الحلى والجواهر .

واما المحامي فهو من أصل (رومي على فرنساوي وشوية كمان من الدم الايطالى والازميرلي والارمنى) وقد ولد في مالطة ولهذا فهو زميل مواطن لى . يدخل وهو يحمل بعض رزم كبيرة من الاوراق وعليه سيماء من يقول (مايمكنش تهوشني أنا مش من دول)

وثالثهم رجل اسمر اللون جداً تم تقاطيع وجهه النصف سامية وهيئة الخضوع البادية عليه على انه سودى وهو يحمل ملفاً ضخماً من الخرط وقبعة عالية جدا مصنوعة على ما يظهر من الاطلس الاسود وقد اتخذ لنفسه مايظن

انها سيماء الصراحة والفضيلة . وترى عينه تتطلع دائماً الى المالى وقد تجسم فيها الخضوع الى حد العبادة .

يقدم الى المستر سمسون (المدعو سابقاً سيميون) حليفيه قائلاً انهما «مستر ديبونج مستشارنا القضائي فى هذا القطر ومستر كساب مندوبنا المحلى . » — فارجوهم ان يتفضلوا بالجلوس. وبعد ان يبدى المستر سمسون الى ديبونج المحامي ملاحظة أو اثنتين بصوت منخفض يبدأ حديثه كما يأتى : —

« ياجناب اللورد سيسل . لقد جئت اليك بالنيابة عن جماعة قوية ذات نفوذ واسع من ارباب الاموال لكي اعرض عليك بعض اقتراحات معينة بصفتك ممثل الحكومة المصرية ويحسن بى ان اسرع بأخبارك بان المشروع مهم جداً وهو يقوم على مبالغ عظيمة من المال : مشروع يجدر بك قبوله حباً فى مصلحة الامة المصرية . ولا اخفى عنك ياجناب اللورد سيسل اننا لم نتحمس كثيراً لهذا المشروع بل ويمكننى القول بأنى لم أكن راغباً فيه بالمرة و بصفتى

رجل اعمال اقول لك بكل صراحة بأن ليست لنا من ورائه فائدة كبرى ... »

وهنا يحنى الآخران رأسيهما علامة الاستحسان والموافقة .

ثم يستمر قائلا « وليس هناك من شك ياجناب اللورد سيسل ان من المحتمل — ولا استطيع بكل اسف ان اقول من المرجح — ان يكون هناك ربح جسيم ولكنه احتمال ابعد واضعف من ان يغرى المرء بوضع مبلغ من المال قد يمكن استثماره بربح اوفر في عمل آخر . لذلك يمكنني ان اقول لك بادئ بدء اننا لانتوقع لعدة سنين ان نجنى ربحا كبيراً بل ولا فائدة كافية عن اموالنا » ....

فيجيب الآخران « كلا » بصوت منخفض ولكنه يدل على الاقتناع .... «وسيخبرك المستر ديبونج بانه قال لى بعد مافحص الاوراق « ؤ.ل ياسيدى المستر سمسون اننى لست مطالبا بابداء رأيى فى صلاحية هذا المشروع من الوجهة المالية . » فأجبته « كلا يامستر ديبونج ولكنني مع

ذلك أكون ممنوناً لو أعطيته » وعندها أجابني .... « حتى اسأله ان مكنتش مصدق » .... « ان الربح الذى ينتظر من وراء هذا المشروع ضئيل جداً »

وهنا يتداخل المحامي الذى كان جالساً يهز رأسه موافقة واستحساناً — قائلا « معذرة يامستر سمسون . لقد قلت لك ان لاربح ينتظر من ورائه مطلقاً »

« معذرة يامستر ديبونج — الحق معك — لقد قلت ان لاربح من وراءه مطلقاً »

« فأجبت المستر ديبونج بأنني أعرف ذلك جيداً غير ان هناك اعتبارات اخرى . — والآن أود قبل ان أعرض المشروع المقصود ان أوضح مركزي جيداً فى هذه المسألة » .

« سوف تسأل بالطبع لماذا أرغب او أوافق انا وحضرات شركائى على القيام بهذا المشروع اذا لم يكن من وراءه الا ربح تافه أو لا ربح على الاطلاق ؟ هاك جوابى :

« أول الاسباب هو الاهتمام العظيم الذى نشعر به دائماً انا وأصدقائى نحو هذه البلاد سواء كان ذلك بسبب

تاريخها المجيد وأهميتها التجارية بالنسبة للعالم المتمدن او بسبب الدور الذي أخذته حديثاً بلادنا (مستر سمسون يعني بذلك انجلترا لا فلسطين ارض الميعاد) في تنظيم شؤون هذا القطر وترقيته. ولهذا اذا تساوت الاعتبارات الاخرى فاننا نعتبر هذا البلد مكاناً صالحاً جداً لاستخدام اموالنا ومن اجل ان نستخدم هاته الاموال بطريقة تعود بأجزل الفوائد (لأنني لا أدعي ان أكون سوى رجل شغل وعمل) علينا وعلى القطر المصري كان من الضروري لنا ان نوطد اقدامنا في القطر وان نُعرف كرجال اعمال يمكن الركون اليهم. والاعتماد عليهم. والأهم من كل ذلك هو ان نحوز ثقة واحترام الحكومة المصرية. نريد ان نكون في مركز يمكننا من المجيء اليك او الي السير جون ونقول ان هناك مشروع كذا نعرضه عليك لفائدتنا المشتركة...، ويمكنكم معه ان تثقوا بنا عالمين من تجاربكم السابقة انه يمكنكم الاعتماد تماماً على متانة وشرف العمل الذي نعرضه عليكم. وانما ذلك العمل معكم في المستقبل — لا هذه المغامرة

الحالية . — هو الذي ننتظر من ورائه فائدة عادلة عن رؤوس أموالنا . — وأود ان اقول ايضاً انني حينما انضممت الى هذه الجماعة بينت لهم جيداً انني لا أريد مطلقاً الاشتراك في اي عمل لا يكون قوامه الشرف و دعامته حسن المعاملة ولا يكون حائزاً للموافقة التامة والتعضيد الكلى من الحكومة المصرية . ويمكن للمستر ديبونج ان يخبرك بان هذا كان دائماً شعاري وخط سيري منذ الابتداء في كل عمل قمت به . »

هنا يدمدم المستر ديبونج قائلا « لاشك في ذلك مطلقاً . — لقد بينت تلك النقطة جيدا . — لا يحتمل ان يكون هناك اي شك . » وهلم من اقوال المديح والتأكيد .

أرى ان المفروض ان اقول شيئا ولكنني لا استطيع ان أتذكر سوى ملاحظات كهذه : (ياسلام)! (ياللغرابة) (شيء خارق للعادة) وهلم جرا . وهي على ما يظهر اقوال لا تنفع ولا تجدى . ولذلك انشبه باللورد بيرغلى العظيم فأحنى رأسي بوقار ولا أقول شيئا ولكن يلوح على المستر

سمسون انه مرتاح الى ذلك لأنه يلتفت الآن الى ديبونج
ويقول « املك لا نرى بأساً في ان تقرأ لجناب اللورد
سيسل تلك المذكرة القصيرة التي أعددناها فى الموضوع. »
فيفتح تواً المستر ديبونج أكبر رزمة من الاوراق التي
يحملها ويشرع فى البحث عن المذكرة المقصودة وتراه فى
خلال بحثه هذا اما يبدى أو يذكر أسماء معظم أهم المحال
التجارية والماليين فى مصر وأوروبا وذلك بالطريقة الآتية :
« لما أشوف . كاسل ... لا . ش دى . — روتشلد .
لا . — بارينج . لا . — بنا كى . لا . سكة حديد الدلتا .
لا . — آه ها هي ! » ثم يوضع نظارته علي عينيه بتأن
ويبدأ بتلاوة المذكرة »
بعد تلاوة بضع فقرات تشبه شبهاً مدهشاً خطبة
المستر سمسون سواء في اسلوبها او في فحواها يتكشف
المشروع عما فى طياته فأعرف فيه صديقاً قديماً في لباس
جديد ألا وهو طلب امتياز ببعض الاراضي
جوهر هذا النوع المخصوص من الاحتيال واحد

لايتغير ولو ان التفاصيل قد تختلف وذلك ان طالب الامتياز يطلب بثمن اسمى مساحة كبرى من الاراضى البائرة التي ينقصها ماء الرى ويصرح بأنه يحتاج فقط الى ماء المصارف وهو الماء الذي سبق استعماله فى الري فامتلأ بالملح والقاذورات الأخرى والذي أصبح لهذا السبب عديم الفائدة في رى المزروعات الاعتيادية ثم يفسر ذلك بأنه انما ينوى زراعة القنب الكاليفورنى أو نبات الليف البارجونى أو شجر التوت لتربية دودة القز. وجميع تلك النباتات لا يؤذيها الماء الفاسد.

فاذا مانال الامتياز المطلوب يشرع يضايق الحكومة بكل الوسائل لكي تمد ارضه بماء صالح طاهر فاذا ماتم له ذلك وهو الارجح يبيع الارض بصفتها أرضاً صالحة لزراعة القطن ويتقاضى ثمناً لها عدداً من الجنيهات يساوي عدد ما كان دفعه من القروش.

اسمع جميع الجمل والعبارات المألوفة التى اعتدت سماعها فى مثل هذه الأحوال : — زيادة مساحة الاراضي

القابلة لضرب الضرائب — ربح وافر للحكومة — صناعة جديدة — علاج لذلك الخطر الناشيء من الاعتماد على القطن وحده وهلم .

فاذا ما انتهت قراءة هذه المذكرة وخصوصاً ما حوته في احدى بنودها من القول السخيف المملّ عن التقدم والارتقاء والحكومة المصرية المحبة للخير يلتفت الى المستر سمسون ويحدثني ثانية عن مزايا اقتراحه بهيئة رجل مستعد لأن يخلع عطاء كبيراً على الجمهور عامة وعليّ خاصة وعلى وجهه سيماء من يقول « ما كل ساعة يأتى تربك فرصة كهذه ولكن ماحيلتي فى طيبة قلبى وحنانى » — ثم يضيف متلطفاً ويقول بأنه لا يريد ان يستعجل رأيى فى الاقتراح حتى أكون قد تبصرت فيه لأنه كلما أكثرت من فحص الاقتراح كلما كان هو أكثر سروراً . ثم يأمر بعدها السورى بأن يرينى الخرط .

يقوم عندئذ ذلك الفاضل الذي يبدو عليه اعجابه الغير محدود بذلك الرجل الذي يسرق الالوف بينما هو يضطر لأن يكتفى بالنذر القليل يرمي اليه من حين لآخر.. يقوم

ويفرد الخرط ويشرحها بزلاقة لسان مرسلا الى رئيسه من وقت لآخر نظرة فيها شيء من التوسل وكأنه يقول «أيها الأسد ! اذا ماقتلت فريستك فبالله عليك لاتنس ثعلبك الامين الذي يبح صوته الآن من أجلك . »

اما الخرط فهي حقيقة آية في الفن . فرسومات السهل تبين المزارع والمعمل وهو بناء ممتد الارجاء . وأما رسوم المرتفعات فتبين مباني فاخره وأسقفا تخترقها المداخن التي تتصاعد منها سحب كثيفة من الدخان ودوراً قد تعددت شرفها وتسلقت على حيطانها أغصان الزهور والرياحين . واما رسومات الداخل والاقسام فانها تبين الآلات الغالية القيمة والجهازات العظيمة والاثاث الفاخر . اما منزل المدير فهو سراى ومنزل مساعد المدير قصر منيف كذلك نائب مساعد المهندس فانه يقطن في ڤيلا لو أجرت بثلثمائة جنيه في العام لكانت رخيصة الأجرة . — فأعجب بالخرط كما يجب واصغي الى سلاسل الارقام التى (يكرها) المستر كساب شارحا النفقة الهائلة التي قد استعدت النقابة للقيام بها

وانه من دواعي التسلية دائما أن يلاحظ المرؤ دقة التفاصيل في مشروع وهمي كهذا فترى كتاب يشرح بطلاق لسان كيف انهم قد اضطروا نظراً لأحوال القطر الخاصة لأن يبتاعوا آلات من نوع أغلى مما كانوا يقصدون وتسمعه يخبرك بالمبلغ الذى قدر لبناء سراي المدير فاذا به ينتهى بأربعة شلنات وثلاثة بنسات وهلم جرا

فاذاما انتهى كتاب من صرح زوره وبهتانه يقوم المستر سمسون ويوصيني باهتمام بان نفحص المسألة فحصا جديا ثم ينسحب بكل أبهة ووقار مصحوبا باتباعه . — اما أنا فارسل الاوراق الى محفل موقر يدعي لجنة اعطاء المنح والامتيازات وهى من شأنها ان تضع حداً لامثال هذه المشروعات وذلك بان تطلب ضمانات مناسبة وتعهدات قانونية الامر الذي يستحيل أن يقوم بأدائه صاحبنا سمسون وزملاؤه حتى ولو كان ذلك فى استطاعتهم

انني مسرور لان سمسون قد نوه بذكر شرفه فاكمل بذلك الصورة ولم الق مطاقا لصا حقيقيا قد استطاع ان يبقى طويلا ذكر هذه الكلمة بعيدا عن شفتيه .

مجلس الوزراء

لايكاد يمر بي بعد خروج المستر سمسون وقت كاف للبت فى أمر اثنى عشرة ورقة حتى ادعي الى حضرة صاحب العطوفة رئيس مجلس الوزراء بواسطة سكرتيره وهو شخص قذر كريه الطلعة له ارتخاء فى عينه وليس له ذمة أو ضمير . — يخبرنى بان أصحاب العطوفة والسعادة يريدون أن يستشيرونى فى أمر مكاتبهم الصيفية بالاسكندرية فاستنتج من هذا أن المجلس معقود بهيئة غير رسمية وهو مايفعلونه كثيراً أصحاب السعادة اذ ان ذلك يمكنهم من نسج خيوط تلك الشباك العجيبة — وانذعها شباك تدابيرهم — التي تبتهج لها نفوسهم دون ان يعكر صفاءهم وجود أجنبى فظ غليظ .... وان مسألة مكاتبهم الصيفية هي احدى المسائل القليلة العدد التي تتحرك لها حقيقة اعماق نفوس تلك الهيئة الجليلة القدر هيئة مجلس

AMERICAN UNIVERSITY LIBRARY CAIRO

وزارتنا. ولقد كنا حتى الآن نشغل مكاتب مؤقتة غير أنه قد اقترح أن نغير من هذا التدبير وأن نبني أو نشتري او نؤجر بناء مناسباً مستديماً. ولما كنت مستشار سعادتهم مدة شهور الصيف فقد رأوا بلا شك أن من الواجب استشارتي في الأمر أو بتعبير أكثر رسمية أن أتلقى تعليماتهم الشخصية بخصوص الموضوع،

عند دخولي حجرة رئيس الوزراء أجد جميع الوزراء موجودين وهم وزراء المعارف العمومية والخارجية والاشغال العمومية والحربية «معاً» والحقانية ووزيري وزير المالية. فيقابلني الرئيس الذي هو أيضاً وزير الداخلية بهزة يد «مرخرخة» ويشير بأدب الى مقعد اجلس عليه. وبعد أن أصافح باليد أفراد تلك الهيئة الجليلة القدر استوى فى المقعد الخالى الوحيد وأتأهب لما أعلم انه سيكون حديثاً طويلا. — يفتتح الرئيس الموضوع بابتسامة رياء ومداهنة قائلا انه يريد أن يعلم ماذا تم فى أمر اعداد مكاتب للوزراء للصيف القادم،

AMERICAN UNIVERSITY LIBRARY CAIRO

قبل ان أتمكن من الاجابة بأن لاشيء قد عمل مادمنا لم نتلق تعليماته يقفز وزير الخارجية الذي يشبه في شكله كرة القدم ويسألني ما اذا كنت لا أري أن الافضل أن نعود الى النظام القديم القاضي باستئجار غرف في أهم فندق بالمدينه . — ولكنه لايكاد يفوه برأيه هذا حتى تتصاعد من الجميع دمدمة تدل على عدم موافقتهم ويرفع الرئيس يده مبدياً استهجانه راجياً وزير الخارجية أن يسكت ثم يقول بعظة وجلال « دعونا نسمع أولا ماذا تم وبعدها يمكننا أن نبحث في الاقتراحات المختلفة : » — فاسرع قائلا أن لاشيء قد عمل حتي الآن.

فيقول صاحب المطوفة واضعاً احدى يديه داخل صدريته حسب أصول الابهة الوزارية « هذا يسهل الأمر كثيراً اذ انه يترك لنا حرية التصرف في الموضوع . » فيقابل هذا الرأى الدال على التفاؤل باستحسان مهيب .

وعندها يقول وزير الخارجية الذي لايردعه رادع « حسنا جداً . فلنؤجر اذن غرفاً في الفندق . »

فيسأله الرئيس « وأى الاسباب تقدمها لسلوك هذا المنهج ؟ اذ ينبغى علينا ان لا نتصرف بدون سبب » — وهو سؤال يضع وزير الخارجية في مأزق حرج لان حقيقة الأمر هى أن صاحب الفندق كان قدسأله ان يسعى فى اقرار هذا الترتيب على ان يستمر صاحب الفندق مقابل ذلك واعترافاً منه بذلك الجميل على « حشو ونفخ » جسم الوزير الشبيه بكرة القدم مجاناً من غير مقابل .. — وهذا السبب ولو انه وجيه متين الا انه ليس بالذى يمكن ابداؤه امام مجلس الوزراء

فيقول وزير الخارجية بعد سكون قصير « لأنه أكثر بساطة وهو خلو من الرسميات ولان المرء يكون فيه قريباً من محل عمله . — ويجب فى الصيف ان يكون المرؤ دائما قريباً من عمله . »

ولكن وزير الحقانية الذى قد زال هضمه من الوجود بالكلية منذ أمد طويل والذى لا يهمه لهذا السبب مسألة الأكل مجاناً يهدر قائلا « أنا لا أحب الفنادق وليس مما

يتفق مع الكرامة ان توجد وزارة لها نمرة على الباب وعلاوة على هذا فان هناك (مزيكة) وأنا لا أستطيع العمل بينما تكون (المزيكة بتلعب) . »

فيقول وزير الخارجية « أنا افضل وجود جوقة موسيقى فان هذا أدعى للسرور ومع كل فلست مرغما على الاصغاء »

فينضم وزير الاشغال العمومية قائلا « ولكنها خوته ودوشه » يستحيل معها على المرء السمع . وكيف يمكن للمرء ان يتناقش فى مسائل جدية على نغمة بولكا ؟ »

يلوح ان موضوع البحث قد ضاع حقيقة ولكن وزير المعارف العمومية — وهو — او كان منذ عشرين عاماً - (واد ابن حظ . تمام) لكنه يرى من الضروري منذ تبوأ منصبه الحالى ان يتخذ لنفسه خطة عالية في الأخلاق - يهب ويضرب الاقتراح الضربة القاضية اذ يقول بهيئة صوفى ورع « يعيش فى الفنادق أناس من كلا الجنسين لا يستحب الوجود معهم وليس من اللائق ان

يوجد مقر الحكومة فى مكان كهذا . »

فيرمي وزير الخارجية وزير المعارف العمومية بنظرة تشعر بأنه يود لو يعيد الى ذاكرة زميله ذكرى (أيام الخط بتاعة زمان) ولكنه يبقى صامتاً عابس الوجه .

يزمجر بعدها وزير الحقانية قائلا « ان الحل الوحيد انما هو أن نؤجر ڤيلا هادئة بالقرب من البحر حيث يمكننا أن نعيش فى هدوء وسكينة خصوصاً وان هواء البحر مفيد جداً للصحة » . - وهو اقتراح يجمع بين الراحة والوجاهة .

ولكن هذا الاقتراح لا يقابل بحماس ما الا ان رئيسنا يلاحظ مع ذلك ان للڤيلا مزايا كثيره وقد كان الرومانيون يعيشون في ڤيلات.

يشعر وزير الاشغال العمومية ان من المحتم عليه أظهار قليل من العلم بفنون منصبه فيقول ... « وحمامات »

فيصيح وزير الخارجية حانقاً « أنا لا أشتغل فى حمامات . اوترى فى هذا ما يليق بمقامنا ؟ »

ولكن وزير الاشغال العمومية يقابل هذا الاقتباس المسروق من (سارتور رزارتوس) باحتقار مشفق ويقول « لقد كانت حماماتهم تختلف تماماً عن حماماتنا ولما كنت فى رومه كنت أذهب غالباً .... ! »

هنا يقاطعه الرئيس قائلا « ليس هناك اي اقتراح عن حمامات . نحن نتناقش فى الفيلات . »

فيمكّن سعادة وزير الحقانية عينه الصفراوية فى زميله وزير الخارجية و (يزغرله) مظهراً استهجانه الشديد ويكمل ملاحظاته مبيناً أنهم اما ان يبنوا منزلاً صالحاً لحاجاتهم واما ان يتحصلوا على بناء جاهز . ولكن لما كان لا وقت عندهم لتشييد البناء اللازم الأمر الذي يقتضي تفكيراً وبحثاً طويلين حتى قبل وضع الرسوم لم يبق لهم الا أن يستأجروا بناء جاهزاً معدا . كذلك يمكنهم طبعاً ان أن يبتاعوا منزلا الا ان هذا أيضاً يتطلب مدة من الزمن قبل اتمام الاجراءات الضرورية وفضلاً عن ذلك فانهم اذا كانوا سيبتاعون داراً مستديمة فالاحرى بهم ان يبنوا . .

فيقاطعه وزير الخارجية قائلا « ولكنك قلت الآن زياء ونشير ان لا وقت عندنا » فيغتاظ وزير الحقانية أكثر من قبل ويتساءل ما اذا كان هـذا بحثاً جدياً . ويضطر رئيس الوزراء ان يتداخل ثانية فيقول بلهجة من يحل معضـلة عويصة « اظن ان زميلنا وزير الحقانية لم ينته بعد من بسط آرائه — لست متأكدا ولكني اظن ذلك . » فيستمر وزير الحقانية الذى قد بدأ يعبس ويقطب فى حديثه قائلا « اذا لم يكن هنالك وقت للبناء — »

الا ان وزير المعارف يقاطعه متسائلا « أي نوع من المنازل تريد بناءه لو أردت فعلا أن تبني ؟ لأنك ان اردت ان تبنى بسرعة منزلا رخيصا .. منزلا وافياً تماما من كل الوجوه فانه يوجد كما بلغنى مقاول ماهر ويقولون لي عنه انه رجل ظريف . »

هنا يقول صاحب السعادة وزير الاشغال العمومية — وهو مخلوق سمج شبيه بالسمك — وكان جالساً يحملق بوزير المعارف العمومية بنظرات ملؤها الاستنكار والاستهجان ...

يقول بقدر مايسمح له الشحم المتراكم فوق صدره من الوضوح « انما كل المبانى أمرها يرجع الى وزارة الاشغال العمومية . »

فيقاطعه وزير الخارجية (اللى عمره مايحرمش) قائلا « لسوء الحظ ! »

فيلفت وزير الاشغال الى زميله محملقاً به كما يفعل السمك ويقول « كيف لسوء الحظ ؟ . »

فينكمش قليلا وزير الخارجية تحت تأثير اللهجة والنظرة ولكنه يجتهد فى اخفاء تأثره ويقول مبتهجاً « مونشير ! لابد وان تسلم بان المبانى التي تقوم ببنائها وزارتك ليست من أرخص ما يكون كما وانها تنهار دائما . »

فيقول وزير الاشغال العمومية وهو يشخر ويشد على الفاظه (زاى تنهار ؟)

فيجيب وزير الخارجية قائلا « وما يدرينى ؟ ... تنهار مفرطحة أنظر الى بناء محكمة طنطا . »

ويقول وزير المعارف « او مدرسة بنى سويف »

وينضم وزير الحمانية قائلا بحقد « أو الجناح الجديد في دار محكمة الزقازيق المختلطة . » — فيرمي وزير الاشغال العمومية زملاءه بنظرة كره ملؤها الاحتقار ويقول وهو يشحر.

« لقد شـيدت هذه المباني قبل ان أصير وزيراً ولم أستطع ان أبقيها قائمة ومع كل فهذه مسألة فنية و — »

هنا يتـداخل ثانيـة رئيس الوزراء ويؤنب المجلس بلطف ويعبر عن ثقته بوزارة الاشغال العمومية قائلا عنها « لقد تبين فيها كل واحد اصلاحات عظيمة مذ غدا احمد باشا وزيراً لها . ولو ان هناك طبعاً بعض الحوادث غير انه اذا أدرك الواحد منا صعوبة بناء منزل ما فانه لا يسعه الا ان يعجب كيف ان حوادث الانهيار ليست أكثر مما هي . » — ثم يضـيف قائلا « انه يعتقد مع ذلك ان وزير الحقانية لا يحبذ فكرة بناء دار . قد يكون مخطأ ولكنه فهم منه أن ذلك يقتضي زمناً طويلا . »

فيقول سعادة وزير الحقانية ان رئيس الوزراء قدفسر آرائه صواباً وانه اذا لم يكن هناك — كما وضح قبلا —

وقت للبناء ولا للشراء واتفقت الكلمة على الرأى الصواب
ألا وهو نبذ تلك العادة السقيمة المذلة القاضية باجتماع
مجلس الوزراء في فندق فانه لا يبقى هناك سوي طريق
واحد وهو كراء ڤيلا ملائمة فى ناحية ما طيبة الموقع .
و بديهي ان كراء منزل ملائم حقيقة ليس بالأمر الهين
ولكنه يظن ان فى استطاعته مساعدة أصحاب السعادة فى هذا
الصدد فهناك توجد ڤيلا احمد بك نسيم وهو يرى انها
لا بأس بها بل وربما كانت أحسن ما يمكن الحصول عليه .
وهو لا يخفى عن المجلس انه من أجل ان يكون متأهباً امام
قرار كهذا كان قد تكلم في هذا الشأن مع احمد بك نسيم .
ولو ان البيك المذكور لم يكن راغباً مطلقاً في ايجار الڤيلا
الا انه أبدى شعوراً بواجبه العام لدرجة انه صرح باستعداده
لوضع داره تحت تصرف الوزارة بأجرة لاشك انها معتدلة
جداً اذا اعتبرنا المتاعب التى سيضطر لتحملها بعد ايجار منزله . .

يقابل الجميع هذا الاقتراح بالصمت التام لأننا جميعاً
نعلم ان احمد بك نسيم لما ثقلت عليه وطأة ديون القمار أخذ

يسعى من زمن ويقيم الدنيا ويقعدها لكي يؤجر داره وهو
منزل عتيق كادت تتداعى جدرانه . وكلنا أيضا نعلم حق
العلم ان صاحب السعادة وزير الحقانية هو أكبر دائنيه
لذلك يمكننا أن نحذر ما ستكونه على الارجح قيمة تلك
الاجرة المعتدلة التي أشار اليها سعادته بدون مبالاة أو اهتمام.

يقوم الآن وزير الخارجية الذى لايزال يتألم من
هزيمته فى مشروع الفندق ويفتتح المعارضة بكل ماعنده
من ضروب التأثير قائلا ان تلك حقيقة فكرة حسنة وان
موقع المنزل ولو انه طبعاً ليس « من الدرجة الاولى » الا
انه أحسن من كثير من المواقع الاخرى . اما من جهة
عدم وجود طريق موصل للمنزل وان لا حديقة هناك
وكذلك قرب بعض الاكواخ التى تسكنها الطبقات
الفقيرة والتي تتصاعد منها رائحة قليلة فهى كلها امور ستمكننا
بلا شك من كراء الدار بقيمة زهيدة جداً وهى بلا شك
مزية تذكر (يقول هذا وهو يرمقني بنظرة) . فهل
لوكيل وزارة المالية أن يتكرم باعطائهم فكرة ما عما

يرجح أن تدفعه تلك الوزارة كأجرة لمنزل كهذا — لمنزل يجوز له أن يدعوه ڤيلا من الدرجة الثالثة ؟

هنا يقاطعه وزير الحقانية محتداً قائلا ان هناك طريقاً موصلا وحديقة غناء ولو انها بلا شك صغيرة ما . اما من جهة الاكواخ المذكورة فانها بعيدة جداً ولم يلاحظ قط تصاعد رائحة ما منها .

يبدأ وزير المعارف يشرح آراءه فى أمر مساكن الفقراء وما يراه من ضرورة اجبارهم على بناء دورهم على نفقتهم الخاصة فوق الأراضي الغير جافة الكائنة خارج المدينة . ولكن رئيس الوزراء يوقفه ويسألني عن رأيي فى أمر الأجرة فأجيبه بتحفظ قائلا ان أصحاب السعادة ادري مني بكثير ولكنني أرى بالنظر الي كل ظروف المسألة ان عشرين جنيها شهرياً تكون قريبة من الصواب . فيصيح وزير الخارجية قائلا ان هذا عرض سخي جداً . وأما وزير الحقانية فان الغيظ قد تملكه لدرجة انه ليكاد يعقد لسانه .

ماذا كان سيقوله أمر سيظل فى طيات الغيب لأن

وزير المالية الذي كان نائما يغط فى سكون وامان يقع من على مقعده أو بالاحرى يهبط المقعد من تحته فنضطر لاعانته على القيام وتنظيفه من التراب

يبدى رئيس الوزراء توجعه ويتذكر الآن ان لذلك المقعد قائمة مكسورة فينظر اليه وزير المالية — وقد بدأ ألم الصدمة يزول عنه ببطء — كما انه يود — باللغة الدارجة — لو يعطيه حاجة (توجعه بحق وحقيق) . — غير ان أحدهم يقرع الجرس فيدخل فراش بائس وسكرتير ويسمعا من الحضور الفاظ السباب والذم بقدر كاف وهو ما يفرج عن الحضور . — يقول وزير المعارف «انه لمن الخطر جداً أن يهبط مقعد من تحت جالس ولقد حدث لى ذلك في العام الماضى . »

فيوافقه وزير الحقانية ويخبرنا ان عمه كان قد وقع من على مقعده ولم يعد بعدها فى تمام عقله !!

فيقول وزير المعارف «اما معي فقد كان الامر بخلاف ذلك فانى آذيت ظهرى »

بعد ان يبدي رئيس الوزراء وأصحاب السعادة آراءهم في هذا الموضوع الخطير وبعد ان يهزوا رؤوسهم تعجباً من تلك الاخطار التى تحيط بنا حتي في مقاعدنا يسأل رئيس الوزراء وزير الحقانية عما يراه في عرض وزارة المالية .
فيجيبه وزير الحقانية بكبرياء قائلا انه يرى بعد تمحيص كل اعتبار ان لا مندوحة له من سحب اقتراحه وانه لا يستطيع عرض اجرة كهذه على احمد بك .

فيسود اذ ذاك سكون مرتبك يقطعه اخيراً وزير الاشغال العمومية الذي ظل منذ الحادثة مثبتاً عينيه الضخمتين بالسقف مشبها في ذلك سمكة (بكلا) متفكرة قائلا انه بالرغم من الاقوال التى يأسف لاضطراره ان يقول انها قد أبديت في تلك الجلسة فانه لا يرى امامهم الا مسلكا واحداً هو المسلك القويم الوحيد — . ثم يقول « يجب ان نبني . »

فيتداخل وزير المعارف قائلا « بطريق المقاولة وأنا اعرف مقاولا ماهرا . انساناً ظريفاً حقيقة وهو — »

فيكمل وزير الاشغال كلامه قائلا بحدة « كلا . بل

يجب علينا أن نبني أنفسنا دارا تصلح لاقامة وزراء مصر . داراً خليقة بنا مثل « هويتول (١) **Whitall** » أو « دون ستريت (٢) **Down Street** » انما اصغر منها طبعا اصغر منها . » وقد وجهت الجملة الاخيرة الى كطعم فيما أظن . غير انه نظرا لحاسة اختناق تداهمنى فاني أجد بعض صعوبة فى الظهور بقدر ما كنت أود بمظهر من يشاركه فى العواطف والرأي .

فيقول وزير الحقانية « ولكن ذلك سيكون أكثر نفقة من اى ڤيلا وغير ملائم أيضاً ، هذا ولست أحبذ تشييد صور من المبانى الاجنبية ... » سعادته ذو اميال وطنية قوية — « .. حين عندنا الآيات المعجزات في فن البناء . »

ولكن وزير الاشغال العديم التأثر يستمر فى حديثه قائلا « اذا شئتم فليس هناك سبب ما يمنعنا من تعديل النسق حتي نجعله أكثر موافقة للفن العربى . »

فيتسائل وزير المعارف قائلا « ولماذا الفن العربى » —

---

(١) و (٢) صحتهما Whitehall ، Downing Street

وهو يريد أن يرينا معلوماته التى اكتسبها أثناء رحلة قصيرة فى النيل في صحبة أستاذ المانى ودليل (بايديكر) — «أوليس فن قدماء المصريين أروع وأعظم ؟»

فيقاطعه وزير الخارجية قائلا «ولكن ذلك مستحيل . لقد رأيت مراراً هاته الهياكل والنصب فلم أر فيها ما يصلح مطلقاً للوزارات .»

فيجيبه وزير المعارف قائلا «عفواً فلقد أرانى الاستاذ فليجر دار الملك فى الكرنك وفيها على الارجح كانت تعقد المجالس . ولقد عفت طبعاً آثارها وهى تستعمل الآن كحديقة مطبخ ولكن المرء يستطيع ان يرى أين قامت تلك الدار وكيف كانت فخمة جليلة .»

ويكمل وزير الخارجية قائلا «ومع كل فمن يستطيع بناءها ؟» — ثم يلتفت الى وزير الاشغال — «انى اسألك صراحة أفي امكان رجال وزارتك ان تبنى مبانٍ عمومية كبيرة ؟ أو هل عندهم الخبرة والتجربة ؟»

فيجيبه وزير الاشغال العمومية بحنق مكظوم «تبنى

مبانٍ عمومية ! اننا نستطيع ان نبني اي شئ . ولقد شيدنا بناء محطة أعنى محطة القاهرة وهى كبيرة جدا وعجيبة للغاية . »

في هذه اللحظة يقول وزير المالية الذى كان القلق بادياً عليه بأنه متأكد من انه قد سمع احدالمقاعد (يطقطق) ولكنه لا يدرى أيها . فيحدث هذا رعبا عاماً ويقوم كل واحد فيفحص مقعده ثم يجلس عليه ثانية باحتراس ثم يقومون مرارا ويرتمون بشدة على المقاعد ليجربوها — وانه حقا لمنظر مؤثر منظر اصحاب المعطوفة والسعادة وهم (ينططون) ببطء طالعين نازلين وقد ارتسم على وجوههم القلق الشديد .

يقول وزير الاشغال بشدة الى رئيس الوزراء « يجب أن تأتوا بمقاعد أمتن من هذه . » فيبتسم رئيس الوزراء بلطف ويقول « لو أن وزاره المالية تتكرم فقط بتجديد أثاث هذا المكتب لكان فى ذلك اغتباطى ولكن . — » ويرميني بابتسامة .

أرى الآن ان الأمر آخذ فى التطور تطورا خطرا ولسوف يبدأون فى لحظة ويطلبون جميعهم أثاثا لمكاتبهم ولهم فيه شهوة لا تطفأ . لهذا التفت الى وزير الاشغال قائلا له انني اخشى أن يكون اقتراحه – ولو انه يتفق مع تقاليد وزارته العالية ويليق بشهرة سعادته كرجل سياسي – ذا طبيعة تتطلب كلفة ونفقة أكبر مما يمكن النظر فيها فى الوقت الحاضر بيد انه قد يمكن عرضه ثانية بعد حين .

ثم التفت الى وزير المعارف واسأله ما اذا كان لديه اقتراح ما .

فيجيبني سعادته بالايجاب ويقول اذا كان اقتراحه القاضى باستخدام مقاول ماهر لبناء دار لنا – بصرف النظر عما اذا كان هو الرجل الذى يعرفه شخصيا أم لا ولو انه مستعد لأن يشهد بجودة عمله – مقضى عليه بالرفض فهو يقترح ان نكلف شخصا ما يكون حازما فطنا بتقديم قائمة بالمنازل المعروضة للبيع فى الرمل وما جاوره و بدون أن يذكر لمن جمعت هذه المعلومات . ثم يقول انه اذا

أريد سمسار ماهر جدا فانه يوصى بمراد افندى فوزى أحـد موظفى وزارته وهو شخص حازم جدا ملم كل الالمام بأمور مهنته .

يقابل هذا الاقتراح بالسكوت التام . — في وسعنا جميعاً أن أن نتـكر تأدباً منا اى علم لنا بأن وزير الخارجيـة يريد العيش مجاناً فى الفندق وان وزير الحقانية يريد استرداد ديونه فى الميسر وان وزير الاشغال العمومية يهوى قبض العمولة التي قد ينالها من وراء مقاولات البناء ... ولكن ليس فى وسعنا ان نتجاهل أمر مراد فوزي فهو قد تزوج من كريمة وزير المعارف وهو وكيله فى الرمل حيث انهمك سعادته فى مضاربات مبان واسعة النطاق وذلك بالاتجار فى نصف دستة ڤيلات ضخمة — كلا ! (دى مسألة بايخة جداً) . وكلنا نشعر بأن اقتراحه ليس من الفن والمهارة في شيء .... كلا ولا هو جـدير بتقاليدنا . — ولكن وزير المعارف يستمر مع ذلك مطنباً في محاسن اقتراحه غير شاعر بالعاصفة المنذرة بالهبوب .

يتغلب رئيس الوزراء على حرج الموقف ويقول « أخشى ان تكون هذه الفكرة — ولو أنها حصيفة من وجوه عديدة — مما لا يمكن الأخذ به . »

فيقول وزير المعارف بلهجة تدل على خيبة الأمل « ولماذا ! انها فكرة بديعة . والآن اذا كنت — . »

فيستمر رئيس الوزراء فى حديثه وهو يشد على القاطه « لأننا كلنا أو بعضنا لنا فيلات فى الرمل ولا يبعد ان موظفاً صغيراً (يعنى مراد فوزى) — بدون ان يعرف مقدار الأثر الذي قد تحدثه غلطة كهذه — قد يوصي بشراء الحكومة لاحدى دورنا وهو أمر يحرج مركزنا ويضعنا فى ورطة فتقوم الجرائد منددة بنا وتتقول عنا ماتشاء لها الاهواء بأقوال وان كانت عديمة الصحة الا انها تكون شديدة الأثر وقد تحط من قدر الوزارة فى عين الامة . » — ثم يقول « يجب ان نبقى فوق كل شبهة وريب حتي ولو كان ريباً سخيفاً . »

فنهز رؤوسنا بوقار ورصانة موافقين على أقواله فرحين

فى اعماق نفوسنا لأننا من وجوه عديدة فوق كل شبهة وريب أو على كل حال أعلى من ان يلحقنا أثرها .

فيقول وزير المعارف مندهشا « يا سلام ! أنظن انهم يجسرون ؟ »

فيجيبه رئيس الوزارة قائلا « لم يبق فى هذا العصر أي احترام لأى مخلوق . »

فيقول وزير المعارف « اذن فقد انتهى الامر ولا جدال وانا لنفضل ان نجتمع فى سرادق من ان يحوم علينا ظل شبهة . »

فيقول وزير المالية الذى كان توهم انه سمع طقطقة من مقعده فتنبه قليلا من غيبوبته « لا مشاحة فى انها فكرة تنطوي على الوفر والاقتصاد وان كانت تنقصها الراحة فلقد سكنت مرة فى سرادق فأصابني بسبب ذلك مرض شديد . »

فهم وزير المعارف أن يفسر اقواله قائلا « لست أعني — » ولكن وزير الخارجية يصيح قائلا وهو ينظر

فى ساعته « ياسلام ! الساعة الواحدة تقريباً . لازم أروح .
يارئيسى العزيز ... هل تسمح لى — عندي شغل كثير » .
فيصيح الآخرون « وأنا » - « وأنا » وهم يتدحرجون
وقوفاً على أقدامهم لان طعام الغذاء فى الواقع ليس بالأمر
اليسير عند اصحاب السعادة .

أما وزير الاشغال فانه هو الوحيد الذى يبقى ساكناً
دون حراك ثم يسألهم :

« ما الذي قررناه اذن ؟ »

فيتلو ذلك سكون قصير أقول بعده اما وقد فحصنا
الأمر من كل وجوهه وكان لى الشرف والسرور بسماعى
الآراء النيرة جداً التي أدلى بها أصحاب السعادة في الموضوع
فانني أرى انه يجدر بنا ان نفحص الامر بتأن وروية فاذا ماتم ذلك
فانني سوف اعرض اقتراحاً معيناً عسى ان يحوز القبول لديهم

— « عال خالص عال خالص . ايوه . ايوه أهو كده »

وبعدان يحيوا رئيس الوزراء مودعين يتدحرج أصحاب
السعادة الى حيث ينتظرهم طعام غذائهم وأعود أنا الى مكتبي .

المكتب ثم الغذاء

« القسم الثالث »

عند ما أعود الى مكتبي أجد ساحة المكتب الخارجية مزدحمة بجمع صاخب لاعن من الموظفين الذين هم في انتظاري . غير انه عليّ قبل ان أتمكن من النظر في امورهم ان اوقع ما بين عشرين الى ثلاثين خطاباً ولا مفرّ لك من ان تقرأ ببعض العناية تلك الخطابات التي يكتبها المرؤوسون المصريون اذ انه فضلا عن عادتهم الظريفة فى دمج ما يلائم اغراضهم فانهم نظراً لقلة معرفتهم باللغات الأجنبية كثيراً مايجعلونك تقول اشياء تبعث فى نفس مراسلك الاعتقاد بأنك اصبحت مجنوناً . فمثلا هناك خطاب بخصوص رفع انقاض سفينة من مدخل ميناء الاسكندرية وفيه قد جعلوني اقول لمدير عام مصلحة الفنارات والموانئ اننا نوافق على استعماله الديناميت « لنفخ عظام السفينة الميتة » ـ واخر

لمراقب مصلحة الاملاك الاميرية وفيه اشدد عليه الوصايه بأن يمنع المعتدين من المرور على قطعة أرض مخصوصة من أراضي الحكومة «في اى وقت كان وكيفما كان ومهما كان» وهو ماقد يعييه فهمه ويربكه .

فاذا ما انتهيت من هذه أبدأ بمقابلة الموظفين المنتظرين كلاً بدوره وهذا هو أصعب قسم في العمل اليومي أذ انه يتكون من اصدار احكام وقواعد في نقط تعرض عليك. وعليك ان تصدرها على الفور ان أمكن لأن التأخير غالباً مايسبب تعباً لاصحاب الشأن . ولما كانت القواعد محدودة النطاق بحدود بانة نهائية فقد يحدث اى قرار خصاماً تاعباً جمة . كذلك على المرء ان يجمع بين سرعة البت والحذر وان ينقل ذهنه مراراً وتكراراً من موضوع الي موضوع جديد وهو أمر شاق للغاية .

والموظفون الوطنيون مولعون أكثر من اللازم باحالة المسائل الى من هو أعلى منهم سلطة . والسبب في ذلك يرجع بعضه الى خوفهم وتهيبهم والبعض الآخر الى

عدم شعورهم بأهميتهم النسبية وهذا ناشئ عن حالة عقولهم التى لم تكتمل بعد وكذلك عن تعودهم الحكم السيئ وهو مايجعلهم شأن كل من كان مركزه او مصدر عيشه مقلقل غير ثابت يعيشون في الحاضر : فالأثر المباشر لا النتيجة النهائية هو كل ما يهتمون له .

وأن تلهفهم على أن يكونوا فى صف الفريق الرابح أمر يكاد يكون مؤثراً باعثاً على الرثاء لحالهم فلقد طلبت حديثاً من أحد كبار موظفى قسم الحسابات بعض أرقام تتعلق بموضوع ما فسألنى في الحال عما أريد اثباته فأخبرته فجاءت الارقام التى أبرزها مقنعة أيما اقناع وكاذبة بالكلية

كذلك فهم يضيعون من وقت المرء بغرامهم للجمل الرنانة الطنانة والكلمات الطويلة المعقدة التي يملؤن بها كتاباتهم وهى فى الحقيقة لا معنى لها ولكنها تبدو لطيفة الشكل حسنة النغمة . فاذا ما طلبت أرملة موظف معاشها راحوا يكتبون صحائفاً عن فضائل الاحسان والرحمة ثم يختمون تقريرهم غالباً باقتراح طريقة ماهرة للتخلص من

اجابة طلب المرأة المسكينة .

بين الموظفين الذين أقابلهم هـذا الصباح يوجد فقط ثلاث موظفين من الذين يستلفتون النظر . — أولهم اسحاق افندي بنويل من مصلحة المعاشات وهو يشبه اليهودي الذي يراه المرؤ على المسرح الهزلى — يبدأ ينوح بخنافة قائلا « مسألة محزنة . مسألة محزنة جداً ياجناب الوكيل فان أرملة المسيو أميل ديبوي — وكان مهندساً ذا كفاءة عظيمة — تطلب هبة الثلثمائة جنيه التي كانت تنالها لو ان المسيو ديبوى أتم بعض اجراءات مخصوصة قبل وفاته . ولكنه لما كان لم يفعل ذلك فليس لها حق فى قرش واحد ولكن — »

وهنا يقف ليتبين دليلاً على مجرى آرائى فاذا ما دمدمت قائلا انها مسألة محزنة يستمر قائلا « ..... الحكومة عادلة دائما ورحيمة بارة خصوصاً بالضعاف الذين لا ناصر لهم ولا معين . »

فأجيبه بشدة « ولكن القانون هو القانون »

فيستمر قائلا « بالضبط . وليس لها حق فى قرش واحد وكان ينبغى عليها ان لا تقدم طلبها . »

فأقول مبدياً اللين « ولكن بما انها معوزة فقيرة فاننى اسمح بأن يعطى لها مبلغاً صغيرا على سبيل الاحسان »

فيدمدم اسحاق قائلا « وهو ما كنت أنتظره من كرمكم المشهور »

فاكرر قائلا «مبلغ صغير » — مشددا على كلمة «صغير »

فيجيبنى اسحاق بلهجة مقتنع « أجل وتكفى عشرة جنيهات »

فأظهر التألم وأقول « مبلغ صغير مثل مائتين جنيه أو أكثر »

فيقول بنويل « لاشك ان عشرة جنيهات تكون كافية من وجهة الحساب المحض ولكن من وجهة نظركم الاكثر كياسة وهو ما كان ينتظر من سعادتكم فان مائتين جنيه أو قل مائتين وخمسين جنيه تكون مبلغاً مناسباً جداً . »

فأقول « حسناً جداً . أما و قد ذهبنا الى هذا الحد
فأرى ان الأولى بنا ان نعطيها ما تطلب — اى الثلثمائة جنيه »
« لاشك ان جناب الوكيل مصيب فان ثلثمائة جنيه
ولو انها مبلغ سخى الا انها ليست بالكثيرة جداً . وبعد
فعلام التقتير والتدقيق مع أرملة رجل شهير كصديقى
ديبوي المسكين ؟ »

وعلى هذا يقر القرار — ولا شك انها كانت اضاعة
وقت مني لما جعلت اسحاق يدور ويلف ولكننى لاأستطيع
منع نفسى عن ذلك فهو بديع ماهر فى تقلبه وتلونه .

ثانى الثلاثة هو أحمد افندى مراد أحد موظفى الخزينة
العمومية وهو رجل ضئيل الجسم رث الثياب كثيرها له
ابتسامة تدل على الزهو والاعجاب بنفسه وهو يتعطر
بصنف من العطر ذى رائحة تجلب الصداع .

يقول « جئت لاقدم ايضاحاتى عن تأخير صرف مبلغ
ال ١٠١٠٦ جنيه المستحقة الدفع للمتعهدين الخواجات جوليانو

وستر وترى وهو تأخير يؤسف له ولكن لم يكن هناك مفر منه . »

فأجيب ببرود قائلا انه يسرني سماع تلك الايضاحات لان ذلك التأخير لم يبد لى غامضاً فقط بل ومشيناً أيضاً للحكومة .

فيصفر وجهه ويخضر اخضراراً أكثر شناعة من لون رباط رقبته ولكن يظهر عليه انه متألم أكثر مما هو متخوف وانه واثق من أن ملاحظاتى غير عادلة . فاستمر مبيناً له ان قائمة الحساب عن القسم الأول من العمل الذي تعهد به المقاولون قد أرسلت في يوم ٣١ مارس وانها كانت تستحق الدفع وقتئذ ولكننى آسف لأن ارى ان الدفع حدث فى سبتمبر .

كانت نتيجة هذا التأخير فى الدفع أن العمل أيضاً تعطل لأن المتعهدين اعتذروا بعدم استطاعتهم الاستمرار فى تنفيذ العقد الا اذا تم الدفع

فيقول احمد — ولا يبدو عليه أثر لما يقول — انني

واثق من ان سعادتكم سوف تطيبون نفساً متى سمعتم ايضاحاتي . — ظهر بادئ بدء ان المبلغ المطالب به يزيد جنيهين اثنين عن المبلغ المخصص ولذلك اضطررنا الى اعادة الأوراق مشفوعة بالإيضاح في هذا الصدد . ثم تخابرنا بعدها مع وزارة الاشغال فظهر لنا أننا بسبب غلطة يؤسف لها جداً من تلك الوزارة كنا أبلغنا خلاف الواقع وان المقاولين كانوا على صواب فكتبنا تواً خطاباً بذلك الى الشركاء مؤرخا ٨ يونيه وسألناهم ان يقدموا طلباً جديداً للدفع وقد فعلوا ذلك في ٢٥ يونيه .

وبعد ان كانت الاجراءات الضروزية قبل الدفع على وشك التمام لوحظ ان الطلب الجديد قد أمضاه أحد الشركاء فقط وهو المسيو ستروتزي وانه لم يمض بالنيابة عن الشركة . ولذلك اضطررنا ان نكتب اليه لنبين له خطأه ولنرجوه ان يصحح هذا الخطأ ولكن هذا الخطاب أرسل لسوء الحظ الي أوروبا فلم نتلق رداً عليه الا في اغسطس ولكن لسوء الحظ . لسوء الحظ جدا فان الرد لم يكن

مؤرخا ولم يكتشف هذا النقص الا بعد ان أمضى التحويل فعلا وأصبح جاهزا للتصدير ونظرا لضرورة مراعاة الدقة التامة فى الاجراءات المتبعة فى الامور المالية فاننا أوقفنا الدفع الى ان تخابرنا ثانية مع الشركة .

كانت نتيجة اغلاط المتعهدين هذه وذلك الخطأ الذي ارتكبته وزارة الاشغال بخصوص الجنيهين أن التحويل لم يرسل فعلا الا فى ٣٠ سبتمبر . - لذلك اظن ان سعادتكم سوف توافقون على ان الخزينة العمومية لم تكن مخطئة باى وجه من الوجوه . »

« تلك هى حجته القوية وعذره المتين ! ان الصعوبة الحقيقية فى هذه الأحوال انما هى ان يكبح المرؤ جماح غضبه غير انى استعنت على ضبط نفسى بكل مافى من قوة صبر وطول اناة وسألته ما اذا كان يعلم ان نتيجة هذا كله كانت تعطيل العمل وكذلك على الارجح خسارة الحكومة سواء مباشرة أو بطريق غير مباشر لبضع الوف من الجنيهات . وهل لم يخطر بباله وعقله الحصيف انه كان من

الممكن ان ندفع الى المتعهدين في شهر مايو مبلغ ١٠١٠٤ جنيه وان نحجز الجنيهين الى ان نتأكد من انهما يدخلان أيضا ضمن استحقاق المتعهدين ؟

كلا ! انه يعترف بان ذلك لم يخطر بباله ! ان من شأنه التمسك بالقواعد واللوائح وهو ماقد فعله . انه متأسف جدا ... الخ

أدرك ان لافائدة ترجى من محاولتى جعل مثل هذا الرجل يرى الأهمية النسبية لهذه الامور .

وأما باقى المقابلة فأمر كريه لا يسر ذكره

واما ثالث موظف من الثلاثة الذين انتخبتهم فانه يمثل طبقة أخرى مخالفة بالكلية .

هو مرتض بك حنا الموظف بمصلحة الأملاك الاميرية وهو كفيف البصر لدرجة العمى . أوسخ من القذاره ويلوح أن عمره يتراوح مابين الثلثمائة والاربعمائة عام

يخبرنى انه قد جاء الى بناء على طلب المراقب ليشرح لى مسألة الارض المحتاج اليها فى بناء المستشفى الجديد .

وهى كما أعلم مسألة في الحقيقة بسيطة جداً من حيث علاقتها بنا فثلاثة ارباع الارض المذكورة ملك لنا من قبل وأما الجزء الرابع فقد وضع أيديهم عليه أربعة أشخاص مختلفين ويطالب به شخص خامس وهى أميرة قامت تدعى ان هذا الجزء كانت الحكومة قد منحتها اياه فى عهد اسماعيل الذى كان قد اغتصبه على ما يظهر من شخص آخر .

الطريق الواضح الوحيد للخلاص من هذه الصعوبة انما هو نزع ملكية الارض وايداع كل ثمنها فى خزينة المحكمة وترك المدعين يتنازعون بعضهم بعضاً للحصول عليه .

ولكن مرنص بك حتما لايسلم بحل بسيط كهذا بل يشرع يقص باعتناء ودقة تاريخ كل من الاربعة الواضعى اليد الحاليين وكذا تاريخ أسراتهم ويشرح بالضبط الكيفية التي يقول كل واحد من الاربعة انه حاز بها الارض وكذا السبيل الذى سلكه حتى أتم هذا فعلا . ثم يسترسل فى بيان المفاوضات والدعاوي التي حدثت بين الاميرة وبين جميع واضعى اليد الاربعة مجتمعين ومنفردين والكيفية

التي تدعى الاميرة أنها حازت بها الارض والأساليب التى تم بها ذلك فعلا . واذا كانت الارض حقيقة ملكا لها كما تدعي فاى حقوق كانت هناك للمرحومين أزواجها الثلاثة أثناء ملكهم التعس القصير الأجل والى أي حد قد انتقلت هذه الحقوق الى أولادهم .

بعد ذلك ينتقل الي بيان الكيفية التى وقعت بها الارض أصلا فى قبضة الحكومة وما اذا كان اسماعيل قد سرقها كلها أو جزءاً منها فقط وما اذا كان قد دفع تعويضاً عن اغتصابها . ثم يلقى نبذة عن الاساليب التى اعتاد ذلك العاهل اتباعها فى تملك الارض . وبينما هو يهم بسرد تاريخ حياة الرجل الذى اغتصب منه اسماعيل الارض اذ أوقعه فيبدو عليه الحزن وخيبة الأمل كيف لا وهو لم يلمس من الموضوع الا حواشيه ويكاد يظهر اشمئزازه علنا اذا ماسألته أية خطة يجدر بى اتباعها .

أما الخطة التى يريد هو اتباعها فهى ان يرفع اثنى عشر قضية أو نحو ذلك ويقضي عشرة سنوات فى منازعات

متعبة مضنية يحصل بعدها على الأرض بضعف القيمة التي تكلفنا اياها الآن . فاذا ماجاء ذلك الوقت نكون قد نسينا الغرض الذي كنا قد احتجنا الارض من أجله . — ان معارفه واسعة وافرة وهو داهية ماكر واسع الحيلة ولكنه لايهتم لقضية ما ألا وهي مشبكة معقدة وقد تناولتها أنامله القذرة العتيقة تتلمس خيوطها باحثة عن الاطراف .

أهم مزية لنا فيه انما هي استطاعتنا ان نستفيد من واسع علمه ومعرفته بكل اختلاسات الاراضى التى حدثت فى مصر في بحر الاربعين سنة الماضية والتى يحمل تفاصيلها فى رأسه العتيقة الكثة القذرة .

انه الآن يتلمس طريقة الي الباب عائداً الى مكتبه ليشرع فى حل معضلة محيرة أخرى .

وبينما المقابلات في استمرار وقد هرب من غضبي الحق آخر موظف كان ينتظر مقابلتي بعد ان جرّ ذلك عليه حشره فى احدى الخطابات لبند قد يكون سابقة فى تقدير قيمة المعاش الذي يستحقه زوج ثانى بنت عم عمته

تقديرا أسخى وأكرم مما يجب اذ أتذكر انني قد وعدت (دوردر) بتناول طعام الغذاء عنده .

انني أكره دائما عن عقيدة ثابتة تناول طعام الغذاء خارجاً فهو أمر يسبب في آخر الصباح هرجاً ومرجاً ويبعث على الاسراع فى انجاز الاعمال اسراعاً شائناً معيباً وكذلك يحدث اضطراباً عاماً ولكن كيف الخلاص وقد وعدت دوردر بالذهاب الى حفلة غذائه الذي ذكر لى عنه بانجليزيته العصبية انه سيكون غذاء (كباساً) مهما يكن المعنى الذي يقصده بكلمة (كباس) هذه .

ومن الغريب ان الواحد منا قد يرفض بشدة وصلابة قبول الدعوات الى حفلات الغذاء التي يهوى الذهاب اليها ولكنه لا يستطيع رفض مساعدة صديق قد أفلح بحماقته في ملء منزله بعدد من عباد الله الصالحين الذين لا توافق بالمرة بين أذواقهم ومشاربهم .

على كل حال هذه هى العادة ومن لا يتبع العادة فى الشرق يكون أبلها أحمقاً . ولذلك اسرع نازلا أنهب الدرج

نهباً موقعاً (كل موظف كفء وأخوه) عند كل لفة من لفات السلم معتذراً بأية لغة أذكرها لحظتها وأقفز في عربة كانت على ما يظهر في انتظار وجيه ضخم أراه الآن خارجاً من باب وزارة الداخلية وهو يدرج في مشيته كالبط صارخاً صاخباً لاعناً على هذا الدال عملي الاستبداد والتعسف. فأتظاهر بأن هذه ماهي الا تحيات طيبات وأرد عليها بأحسن منها بينما العربجي يلهب خيله بالسياط فتقفز تنهب الارض نهباً. — ولما التفت لآخر مرة نحو الوجيه الذي قد عرفني أخيراً والذى له دعوى مبهمة يطالب فيها الحكومة ببعض الاراضى أراه قد أبدل صيحات الحنق الشبيهة بصرخات الطاووس بوابل من التحيات والسلامات تعززها ابتسامة خضوع وتزلف.

بعد ان نعرض للخطر والتهلكة حياة وأرجل الكثيرين من رعايا افندينا المخلصين وكذلك أرواح اغلب ممثلى الدول الاجنبية نصل الى باب دوردر وقد تأخرت عشرين دقيقة بالضبط غير ان دوردر لحسن الحظ ليس من الصنف

الانجليزى الهندي أو ذلك النوع من الموظفين (المتحفلطين) والا لكان تأخيري هذا سبباً فى حقده على شهوراً عديدة .

اسقط بعض دراهم في يد العربجي القذرة وأصعد السلم أنهبه نهباً الى الردهة وعندها أرى انهم لم يدخلوا بعد قاعة الطعام لأنني أسمعهم يتحدثون فى قاعة الاستقبال .

يقوم البربرى ويعلن وصولى مناديا بمنتهى البساطة « سيسلى » ويضيف بعدها اسم منصبي باللغة العربية . وأنا واثق من ان الذين سمعوه قد أصبحوا يعتقدون ان لقبي هو « مالية » وهي آخر كلمة لفظها

ولقد دعتني بهذا اللقب سيدة امريكية طول مدة الغذاء ولم أجسر مطلقا ان أبين لها خطأها

يلوح على هذا الغذاء انه (كباس) حقيقة فانى اقدم بسرعة للحاضرين ثم نقوم بعدها الى المائدة . — هناك اثني عشر نفسا بما فيهم دوردر وأنا . فلننظر الآن من هنا :

كوم نمرة ١ — ثلاث امريكانيين — بابا ركان اعمال خامد . — ماما . امرأة حافظة جيداً لقوامها . مبهرجة .

شنيعة . — الأبنة . ظريفة جدا . اقل بهرجة واقل شناعة . ومن لهجتهم ومقدار الخنافة التي فيها اظن انهم من أبناء الشمال .

كوم نمرة ٢ — كهل وزوجته — انجليز — معهم ابنتهم وقد مسها الكبر — اخشى ان يكون الأب وابنته من المهتمين بأمور مصر لأنني أشم رائحة النظريات والاحصائيات .

غيره — مولنجتون . احد موظفي دار الوكالة قد (جرجروه) مثلي ولكنهم اجلسوه بجانب الامريكية الحسناء وهو مستعد لتمضية الوقت على احسن مايستطاع .

غيره — سياسي نمساوي جميل المنظر حسن الهندام وهو صديق لي

غيره — مستر ومسز سيريل كرنشر . من وزارة الاشغال العمومية — يلوح دائما على كرنشر انه قد نجا للحظته من الموت حرقا بالبخار في محل الغسيل وذلك بأن زحف من تحت (الكندرة) . — وهو انجلزي هندي .

ملآن بالحمى والأوجاع والرسميات . ولكنه شخص ظريف وموظف من الطراز الاول فى عمله . — وأما مسز كرنشر فهى كما يدعوها دوردر بلغته العصبية « الرعب المقدس » . ولسوف (آ كلها طيب منها) لقدومي متأخراً . — أظن حقيقة انه كان يجدر بدوردر ان يجد شخصاً آخراً ليقابل جماعة كرنشر في حفلة غداءه هذه ولكن سبق السيف العزل ولا مفر لى من هذه الورطة.

أجد انى جالس بين السيدة الانجليزية و بين المسز كرنشر . اما البارون النمساوى واسمه سوديسكي فانه جالس بجانب المسز كرنشر من الجهة الاخرى . وقد جلست السيدة الانجليزية المسز ستانلى مرتون وبجانبها مولنجتون . — أرى ان كرنشر التعس قد وقع بين مخالب السيدة الامريكية ولكنه دائما راضخ لحكم القدر واعلم انه سينظر اليها كأنها داء عصبي قد ناله بسبب سكنه فى مصر .

التفت مسرعاً الى المسز مرتون تاركا للبارون مهمة الاعتناء بأمر المسز كرنشر فتبدأ المسز مرتون تنعى وتندب

حظها القاسى الذي ما زال يضطهدها مستعينا عليها بزوجها وابنتها والذى أجبرها على ترك ديارها الهادئة الجميلة والهيام على وجهها فى أماكن غير صحية :

ولا أستطيع ان أقول يالورد ادوارد انني أسر حقيقة بالسفر والتنقل كما ينبغى علىّ فانى لم أتعود السياحة مطلقاً في صباى وأخشى انني أفضل البقاء فى موطنى ولكن زوجى وصوفيا قد شغفتهما مصر فقرأمرهما على زيارتها ولما كنت لا أستطيع البقاء وحدي في ديارنا فقد جئت أنا أيضاً . — انني واثقة من ان كل مافي مصر مفيد لطيف ولكنني أظن من دواعي الأسف ان أترك انجلترا في فصل الشتاء حين توجد فى الأبرشية أمور عديدة يجب علىّ ان أعنى بها . — أما التاريخ المصرى فانى لم أدرسه مطلقاً بالعناية الكافية والا لبعث فىّ ذلك الاهتمام بمصر وحب استطلاع أحوالها ورؤية آثارها . ولقد عرفت طبعاً من التوراة جزءاً صغيراً من تاريخ مصر ولكن زوجي للأسف يتشبث بان هذا الجزء مشكوك فى صحته من الوجهة

التاريخية على انه كيف يمكن لهم القول بذلك من عدمه .
هذا مالا أستطيع تصوره . اما انا فلا زلت اتمسك بما
قد يدعونها الآن آراء عتيقة ولذلك ترانى اسرع تصديقاً
لما قاله النبي موسى منى بعالم المأنى لم اسمع عنه قط . وقد
يحتمل جداً ان يكون جاسوساً كباقي ابناء جلدته . —
كذلك يجب على الاعتراف بأنى اجد حياة الفنادق متعبة
جداً ففيها يقابل الواحد طوائفا واجناسا متعدده من ملل
مختلفة خير للواحد ان لا يقابلهم ولا يختلط بهم . اما الطعام
فثقيل غير صحي ملؤه الشحم والدهن هذا ولا شك فى ان
صحة الانسان هى اهم الأشياء وهذا بالرغم مما قد يقولونه
بخلاف ذلك ولهذا فاننى افضل ـ ولو اننى واثقة من انك
سوف تظنني هيابة غير مقدامة ـ ان اكون بخير وعافية
سعيدة في داري خيراً من مشاهدة ابا الهول او الاهرام
والبقاء بعدها فى فراشى شهرا اقاسى فيه مر الاوجاع
والآلام . » (وهلم جرا)
فيفرج قولها هذا كثيرا عني لأنى ارى فيها تلك

السيدة العجوز التي احبها واجلها . ولو اتمكن فقط من ان اجعلها تسترسل في وصف حياتها المنزلية . فلسوف تمر ساعة الغذاء على ما يرام ولكن هيهات فهناك مسز كرنشر ولم احسب لها حسابا .

بينما قد نجحت بالكاد في معرفة ان مسز مرتون تسكن ديفونشير وانها تعرف اناسا كثيرين من بينهم من اعرفهم شخصيا ومنهم من سمعت عنهم وانها (على كيفي) من انصار الحكم الامبراطوري وان لديها كثيرا من المعلومات عن جميع الشؤون الريفية واذا بمسز كرنشر التي لم تعجبها على ما يظهر مسامرة البارون تبدأ بمهاجمتي من الجناح الايمن :

« لم نرك كثيراً هذا العام يالورد ادوارد . — لعلك منهمك جداً في وزارة المالية انهما كانسك ان تزورنا . »

فأسرع بتقديم الاعذار وهذا هو بالضبط ما كانت تترقب له تلك القطة الشمطاء .

« آه لقد خطر لى انك لم تترك بنفسك تلك البطاقات . ولقد قلت لسير بل بأنى متأكدة من ان مسز دلانى هى

التي تركتها مع بطاقاتها . - حقاً لقد تغيرت الآداب الآن الى درجة غريبة فقد كان هذا العمل يعد أوقح ما يمكن لامرئ عمله . »

فأحاول الشرح والاعتذار ثانية بأسلوب (ملخبط) وأزيد المسألة سوءاً على سوء .

« حسبك يالورد ادوارد . انني واثقة من انك لم تقصد اساءة أدب ما ولكن الناس قد أصبحت فيما يظهر أكثر عملا وانهما كامن ذي قبل فلقد كان اللورد كرومر والسير ويليام جارستن يجدان دائما من وقتهما فراغا يسمح لهما بزيارتنا . »

كذابة أشرة ! أنا لا أصدق ان أحدهما فعل فى وقت ما أكثر من ارساله بطاقته مع وكيل نائب مساعد سكرتيره الخاص . ولكنني لا أستطيع ان أقول لها ذلك .

« ولعله ايضا عمل لا غبار عليه قيام امرأة متزوجة - امرأة شابة متزوجة - بترك بطاقات الرجال نيابة عنهم . اما فى أيامنا نحن فقد كان هذا العمل يعتبر خلاعة وتهتكا

وهذا أقل مايقال فيه . »

سحقاً لها ! . سوف أفقد صوابى فى لحظة وأغدو وقحا قليل الأدب ولكنني أنقذ من هذه المذلة الاخرى بواسطة البارون الذي يأتي لنجدتى وهو يبتسم بلطف وبشاشة :

« أما في بلادي فاننا نترك البطاقات للسيدات العجائز فقط ولا شك اذن انك كنت تكونين هناك أسوء حظاً بكثير منك الان . »

انه كذاب زكي رقيق الحاشية ! ثم ينطلق فى الحديث والمسامرة قبل ان تستفيق المسز كرنشر من تأثير ذلك المديح الذي لابد وان يكون اول ما سمعته اذناها لمدة خمسة عشر عاماً مضت على الأقل ويسترسل ساكباً فى أذنيها بانجليزية غاية فى الجراءة والغرابة بياناً كاملا مسهبا (خياليا) عن الحياة الاجتماعية والتقاليد المرعية في احدى مدن الحاميات فى بلاد المجر وهى المملكة التي ولد فيها . بينما اعود انا الى ديفونشير وطبعة كرانفورد فى القرن العشرين ولكن اعصابى

و آسفاه كلها مضطربة متهيجة .

غير ان هذا الاضطراب يزول تدريجيا فاذا ماجاء دور الحلوى اكون وقد عاد الي السرور ثانية . — يبدأ الان مولنجتون محدثا مسز مرتون عن بعض اصدقائهما واقاربهما مجادلا منازعاً بحرارة فيما اذا كان زوج بنت مسز مرتون هو ثاني ابن عم له من الطبقة الثانية ام لا . — وتأخذ المس مرتون في استقاء المعلومات والبيانات من دوردر حتى يخال للواحد انها ستنتفخ كالعنكبوت وهو (يشنط) ذبابة . — وتسترسل الامريكية في استعراض وتعداد اصدقائها الاشراف من ذوي الالقاب امام كرنشر الذي يمكث ناظراً اليها بمقت وكراهة . — واما المستر مرتون فانه يفضي للفتاة الامريكية بارآئه في قانون امريكا النظامي وهي آراء تعدها الفتاة وقاحة بليدة وفعلا تتثاءب في وجهه . — هذا بينما يكون البركان الخامد جالسا يفكر في البضعة الملايين الزيادة التي كان في وسعه جمعها لو انه لم يخمد . »

ثم يسكن الحديث و يسود الصمت و يسمع بجلاء

ووضوح صوت البارون الجهوري الرنان وهو يقول :

« فقلت لها انك انجليزية ولا بد وان تكوني رحيمة شفيقة . انني غير مغطى واذا لم يكن لك غطاء تستترين به وأنت غريبة في .... اسمها ايه ... هيصه ... لا ؟ جمعيات . لا — حفلات ؟ فان هذا أمر متعب مضايق »

لا أجسر على النظر الى مسز كرنشر التي لابد وان تكون لها الآن هيأة قطة مزعورة مرعوبة .

ويكمل البارون حديثه قائلا بدون خوف أو وجل « فرقت لحالي ورثت لأمري ودارت بي وعرفتني ببعض الحاضرين وسرعان ما سررت وطابت نفسي . » ثم يسألها البارون بجراءة ورباطة جاش : « هل تعرفينها ؟ مسز جيرنر ؟ »

وافرحتاه ! اذا كان حديثه الذي كان يحدثها به كله على هذا المنوال فلا شك عندي ان مسز كرنشر قد قامت كثيراً . وكيف لها ان تعلم انه يقصد كلمة « محمي » عند مايقول « مغطي » .

والآن يجئ دور السجاير ثم نقوم الى الشرفة

أريد الانصراف لان مسز دلانى وعدتنى ان تلعب معي الجولف على شرط ان أكون حاضراً فى اول ملعب للجولف عند الساعة الثالثة وربع تماماً . هذا ولو انها على الارجح سوف لا تكون هناك الا فى الساعة الرابعة الا انه يحسن بى عدم التأخير . فاقترب من دوردر لاخبره بذلك ولكن المستر مرتون يهبط على بعزيمة صادقة قاسية ولا مفر لي الآن فلعنة الله عليه ! ولو لم تصده وتكسفه تلك الفتاة الامريكية لكان لا يزال يحدثها الى الان . — أسر بامرى الى البارون وقد تملكنى اليأس ولكن هيهات النجاة فقد (زنقنى) المستر مرتون تحت ستر مشربية ثم يبدأ قائلاً :

« كنت اؤمل ان تسنح لى فرصة أتبادل معك فيها حديثا قصيرا يالورد ادوارد وانى واثق من انك سوف لاتعنى اذا سألتك بعض أسئلة قليلة في موضوع قد استلفت أخيراً نظرى اليه المرة الثانية وهو المراكز النسبية لكل

من الانجليز والوطنيين الموظفين فى الحكومة المصرية . »

فأدمدم ببعض الفاظ يغمرها لحسن الحظ صوت المستر مرتون الرنان الطنان .

« لا مشاحة فى انك تدرى كما أدري انا أيضاً ان لهذا الموضوع أهميـة كبري عند كل الانجليز المشتغلين بالمسائل المصرية . والآن أسألك بصراحـة الا تظن ان عدد كبار الموظفين الانجليز فى مصر هو أكثر من الضرورى ؟ »

فأهم بسؤ له عما يعنيـه بقوله « ضرورى » ولكنه يستمر قائلا :

« أدري جيداً انك تفضل العمل بين موظفين يكونون من أبناء بلدك وان ذلك احلى لك بكثير ولكن هل ترى فى هذا شيئاً من العدل والانصاف لمصر ؟ — لقد تحادثت أخيراً مع الكثيرين من افاضل الوطنيين النبهاء وأصغيت لأقوالهـم بدون تحيز ولا محاباة وينبغى علىّ ان أقول ان شكاتهم على حق وان قضيتهم عادلة لا ريب فيها . ولعلك لا ترى بأساً فى قولى انهـم ربما يتكلمون معى بصراحة وجلاء

أكثر مما قد يفعلون مع رجل في مركز رسمي مثلك .

كذلك من حسن حظى انى استطيع عادة ان أتكشف وأتفهم آراء الشرقيين في مثل هذه الامور واننى أرى انهم كانوا يعنون حقيقة ما يقولون .

« ولقد قالوا ان عدم وجود الوطنيين بنسبة أكبر بين أكابر موظفى الحكومة أمر قد نشأت عنه عاطفة الكره للانجليز وهو ما يؤسف له جداً والذي تمثل أخيراً مرةأو مرتين .

« ولقد قالوا بان مثلاً مراقبة جمع الايراد أمر خيرلو يترك القيام به لأناس يفهمون حقيقة عقلية الفلاح أكثر من الاجانب . — ولقد تشكوا أيضاً من تفتيش الاجانب عليهم ومراقبتهم الأمر الذى يؤلم كبرياءهم ويجرح عزة نفوسهم .

« ولقدقال لى احدهم وهو مصطفى بك المصرى « انني عضو فى أنديتهم وهم يلعبون معى البردج ويعاملوننى كرجل ذى شرف ولكنهم لايريدون ان يأتمنونى على

الاموال العامة وهي فى نظر وطنى شريف مثلى مقدسة كما لو كانت أموال أبيه . »

كلام تمام ! وددت لو أرى الشيخ سليمان باشا يأتمن مصطفى على قرش واحد (بس) ولو يكون مزيفاً

اذا استمر هذا الحديث فانني سوف اصرخ وأصيح. — ياله من حمار كثير النهيق هذا الرجل . — فاذا ما كاد يقضي عليّ اليأس يقبل البارون رضي الله عنه وعلى شفتيه ابتسامة لطيفة ويقول « لقد سألتني ياعزيزى اللورد ان لا أترك اى حديث ظريف مهما كان ينسيك ان البرنس في انتظارك الساعة الثالثة وانت تعلم ان سموه لايحب الانتظار . »

فاعتذر الى مرتون الذى قد تبلبل وارتبك وأحي دوردر برأسى وانسل هارباً قبل ان (يزنقنى) آخر

فيقول البارون « مهلا . انني قادم معك . »

لما نصير خارج المنزل أشكر البارون بحرارة فيطرح تشكراتى جانباً ويقول :

« العفو دي حاجة فارغة ! ليس أوقع في نفوس هؤلاء

الديمقراطيين الغلاظ من ذكر الامراء ولذلك ذكرت البرنس .. وعندنا في النمسا أمثال هؤلاء الاشخاص وهم رعاك الله لحوحون ثقال الظل . — انني أحب دوردر جدا ولقد عرفته منذ سنين عديدة وقابلته في باريس ولندن وڤينا ولكنني سوف لا أقبل دعواته للغذاء بعد الان .» — ثم نفترق .



اللجنــة

أجد عند ما أصل الى الوزارة انني اول عضو فى اللجنة قد وصـل الى محل الاجتماع وذلك على عكس ما كنت أتوقع . — لنا فى هذه البلاد ولع شديد بعقد اللجان وعندنا منها من كل صنف ونوع فهناك اللجان المستديمة واللجان المخصوصـة واللجان التي من شأنها النظر فيما بين المصالح المختلفة و اللجان المصلحية وهلم جرا . وكلها مضياعة للوقت ولكنها ليست خالية من عوامل التسلية لمن يميل الى النكتة الخفيفة و الملحة الظريفة .

والاعضاء يكونون عادة من جنسيات مختلفة ويدور البحث والمناقشة اما باللغة التي يتقنها كل عضو بمفرده واما بما نسميها « اللغة الفرنسية » . و « لغتنا الفرنسية » هذه هي اغرب لغة فى العالم اللهم الا ربما الأنجليزي الصيني فان عليك ان تنطقها بنبرة قوية تكون خاصة بك وذلك لكى

تظهر استقلالك وعدم تقيدك . ـ وهي كذلك عبارة عن ترجمة الفاظ لغتك الاصلية بالترتيب الذى تنساق فيه عادة الى اللغة الفرنسية ترجمة حرفية أو حرفية بقدر ما تستطيع. واذا لم تعرف الكلمة الفرنسية لمعنى ما ففى وسعك اما ان تقوله بلغتك الاصلية وبصوت مرتفع (لكي تساعد على تفهيم الاجنبي الجاهل) واما ان تستعمل أية كلمة فرنسية يكون لها تقريباً نفس الرنة والصوت اذا لم يكن لها نفس المعنى . كذلك فى وسعك أيضاً ان (تفرنس) نفس الكلمة وذلك بأن تعطيها ما يسمونه هنا نطقاً فرنسياً وذلك تضيف كلمة جديدة الى تلك اللغة الضيقة المحدودة .

وهكذا تصبح كل جملة حسب هذا النظام احجية مسلية ولغزاً يثير الاهتمام . اما ادارة المناقشة والبحث فى المسائل الفنية ففرض لايقوم به الا أذكى خلق الله وأسرعهم فهماً وأحضرهم ذهنا .

لجنتنا في هذا المساء من النوع المستديم والغرض المفروض من وجودها هو فحص وتداول الآراء ثم ابداؤها

في مسائل منح الامتيازات والرخص التي تعطيها حكومتنا السنية للافراد والشركات ورئيسنا هو محمد باشا احمد وزير الفنون والصنائع .

وان وضعه على رأس تلك الوزارة المخصوصة انما كان احدى تلك الفكاهات المليحة التى اشتهرت بحق بها هذه الحكومة . وهو فى الاصل ابن مالك صغير وانتظم فى سلك خدمة الحكومة وهو فى الثامنة عشر من عمره ثم كد واجتهد وترقى بعناء ونصب الى أعلى وظيفة في احدى المصالح الاميرية — وكان قد دخل فيها بطريقة لازالت سراً غامضاً — الى ان عين قاضياً

ولقد كان حكمه قصير الأجل ولو انه كان كما يقال كثير الربح والفائدة فقد حول نظام الاحكام في قضايا البلد الجنائية الى (تعريفة) غرامات مالية تدفع سلفاً الى شخصه الكريم .

وبالرغم من ان هذا الأمر كان معروفا جيداً لدى الجميع فانه لم يكن من المستطاع اثبات شيء ما ضده ولهذا فقد

رقوه الى مدير عام ديوان الاوقاف وهل كان هذا الا تدبير عبقري ماهر . ففي خلاف ذلك المكان — حتي ولو كان بين أبناء جلدته — قد كان ميله الي تحويل كل أشغال ومعاملات الحكومة الى قبض ما تساويه قيمتها نقداً يكون سبباً فى اثارة حسد زملائه وتعريضه الى النقد والتشهير والتنديد . —

اما فى ديوان الاوقاف فيندر ان يستلفت أمره النظر أو يثير الريب والشكوك . فان هذه المصلحة التى لها شبه صبغة ومركز دينى قد أبقيت دائماً طاهرة لم يدنسها تداخل المسيحيين وتدار أمورها شخصياً بواسطة أعلى مقام فى المملكة . ومن المفهوم ان من الطمع والبخل وحب الذات أن يتمسك امرؤ بوظيفة مديرها العام لأكثر من سنوات قليلة .

ولما الفت آخر وزارة جديدة الا ثلاثة شاعت فكرة وجوب تمثيل كبار ملاك الأراضى فيها (فى الوزارة) . — كان صاحب السعادة وهو كما نوهت رجل عمل كفء قد

اشترى بالمبالغ التي كسبها واقتصدها (بعرق جبينه) أراضى وأطيانا حتى أصبح الآن من كبار ثراة البلد ذوات الجاه والطول العريضين . وهو كذلك من المحبوبين المقربين من أسمى المقامات وأعلاها لأنه كان يعنى دائما بأن يترك لهم نصيبهم في أى ربح كان ينتج من ادارة أملاك الوقف .

كانت لسوء الحظ جميع مقاعد الوزارة قد امتلأت ولم يبق منها الا كرسى وزارة الفنون والصنائع . ولم تعتبر هذه الوزارة لأول وهلة منصباً عالياً يليق بمقامه ولكنهم تذكروا انه كثيراً ما يحير الوزير فى أمره و (يتلخبط) اذا كان على شيء من العلم والخبرة بأمور وزارته الفنية ولذلك عينوه فيها ومن المؤكد انه استلم أعمال منصبه بعقل مفتوح ورأس نظيفة .

الا انى شخصياً أجد له عندى بعض الميل الخفى ذلك لان له (غشومية) وخفة روح الفلاح وفكاهته . تلك الأخلاق التى تتناقض مع دهاء وخبث ورياء المصري ربيب المدن . وقد كانت دائما فلسفته فى الحياة هى تقدير

الرجال — بصرف النظر عن جنسيتهم أو ديانتهم — بالمساعدة التى فى وسعهم القيام بها له فى سبيل كسب مايقوم بأود عائلته الكثيرة العدد. والادخار لشيخوخته وهى فلسفة تجعله أقل كراهة وبغضاء للمسيحيين الكلاب مما هم عليه عادة مواطنوه.

ولقد أسر الىّ مرة (لأننا صديقان نوعاً ما) بأن لامشاحة فى ان التدين صفة فاضلة وخلق كريم الا انه يكلف غالياً وانه شخصياً يستهجن عمل الناس الذين يبنون على نفقتهم الخاصة مساجداً فخمة سعياً وراء الابهة وحب الظهور. ثم قال. وقوله الحق. ان هذه المبانى ينبغي أن تقام بأموال يكتتب بها جمع عديد كى يشترك في الأجر والثواب أناس كثيرون.

وقصارى القول فهو وغد. ذ كى الفؤاد. جاهل. طروب النفس (بجبوح) له قلب طيب وليس له ضمير.

أما العضو الثاني مرقص بك ويصا فهو شخص مختلف بالكلية: لونه الاسود وشعره الصوفى وملامح وجهه

الخشبية وعدم نظافة جسمه وملبسه كلها أمور تنادى بأنه قبطي صميم . وتوجد فيه جميع المميزات وكذا الرذائل والفضائل التى تكون لشعب قد عانى الاضطهاد أجيالا عديدة . فان طول البال والاناه البادبين عليه وسلوكه الذى هو خليط من الخضوع والتذلل والترفع وعزة النفس وكذا اخفاءه لرغباته وعواطفه الشخصية اخفاء تاماً كلها مميزات خاصة بجنسه . والاقباط قوم كذابون لأنهم مرت عليهم السنون والاحقاب وهم فى خطر اذا هم نطقوا بالحق والصدق ، ما كرون خادعون اذ بهذه الصفات فقط كان يمكنهم الاحتيال على العيش . وهم كذلك متكبرون يحتقرون المسلم ولكنهم خاضعون متذللون نظرا لقدرته على ظلمهم والبطش بهم . مهملون فى لباسهم وزيهم وزينتهم بعد ان مرت عليهم الأجيال ولا حيلة لهم فى اخفاء ثروتهم وما لهم الا بهذه الوسيلة .

والثالث (دى شالون بك) من عائلة نابليونية ينتهى نسبه الى كولونل فرقة (شاسير) شهير فى ذلك العهد ولا

يزال يلتحي باللحية الامبريال والشوارب المدببة كما كان الشأن فى عهد الامبراطورية الثانية .

وهو حسن الهندام حاذق فطن ممل . مضجر . مسلى ومطرب سريع التأثر . كيس ظريف في معيشته الخصوصية . متمسك بالرسميات تمسكا لايطاق فى دائرة عمله وشغله . كان في وقت ما موظفاً ثميناً ولكنه منذ زمن طويل لم يعد يهتم لشيء ما سوى معاشه ومؤلفه الكبير عن التأثير الفرنسى فى علم فلاحة البساتين فى مصر الذى مازال الجزؤ الخامس منه تحت الطبع للعشرة سنين الماضية وهو كل يوم بين تحوير وتبديل وتغيير وتنقيح .

والرابع اسكتلاندى . صعب المراس (دماغه ناشفة) مقتدر كفء فى عمله ميال للمعارضة والمجادلة والمناقشة شأن أبناء جلدته — والخامس هو أنا .

وسكرتيرنا سورى ضئيل ليس في وسع أعصابه تحمل عناء مخالطة كبار الموظفين والعمل تحت مراقبتهم مباشرة وان جلوسه ساعة فى كل اسبوع مع رجال قد يؤثرون

بطريقة ما فى أمر ترقيته أو زيادة او انقاص معاشه . أمر
تخور لديه عزيمته وتضطرب له اعصابه ولهذا فهو دائما يقع
في غلطات يوبخه الوزير من أجلها . أو يعنفه ويزجره
(ما كتاب) بأشهى ما فى اللغة الاسكتلاندية .

يصل صاحب السعادة آخر الجميع فيدرج داخلا
مدحرجا جثته الضخمة ويهز يدي بما يتصور انها الطريقة
الانجليزية وما هى في الحقيقة الا هزة اليد التي تقابل بها
شقيقاً محبوباً بعد فراق عشر سنين .

وبعدان يشكو صاحب السعادة من حرارة الجو ويمسح
جبهته بمنديله يرتمي على كرسيه ونجلس نحن فى أماكننا
المعينة .

وبعدان يسقط السكرتير عدة مرات جميع أوراقه
نظراً لحيرته وتبلبله واضطراب عقله يسرع في مناولة كلاً
منا بياناً بأعمال اليوم وهو يحتوي على جدول بالمسائل
المطروحة للبحث .

وما هي الا عادة رسمية لأننا جميعاً عالمون بالمسائل

التي ستعرض علينا في هذا الاجتماع ولكننا مع ذلك ننظر الى الورقة باهتمام كل بطريقته الخاصة

فالوزير ينظر اليها كما لو كانت قائمة (منيو) عشاء حقير . والحق يقال عن سعادته ان عمره ما ادعى قط أي شغف أو هيام بالعمل .

اما ما كناب فانه يفحصها ويمعن النظر فيها كما لو أنه يود ان ينقدها ويفندها ويجادل كل من لا يوافق على آرائه . وأما دى شالون فانه يطالعها بامعان وترو بطريقة رسمية بحتة كما لو كان على وشك أن يتواقح على الجمهور . وأما مرقص بك القبطي فانه يركز عينيه عليها بتلك النظرة الباردة الشبيهة بحملقة الحية الرقطاء . والتي لا تدل مطلقاً على مجرى أفكاره وما يدور بخلده .

ليس هناك اليوم والحمد لله الا ثلاثة مسائل فقط معروضة للبحث .

أولها التماس من مالطي يدعي (جاليبولى) يطلب فيه الاذن له ببناء أرصفة لمرسى السفن بالمنصورة وسوق

بالقرب منها وان يؤذن له بأن يتقاضى جعلا معينا عن استعمالها . وكذلك ان لا يعطي لأحد ما فى تلك المدينة ترخيصاً مماثلا . ويقترح في مقابل هذه المزايا والفوائد أن يدفع أجرة مخصوصة للحكومة وكذلك ٣٠ ٪ من صافى الارباح الناتجة .

والثانى رجاء بتعديل بنود عقد امتياز اصلاح وبيع الاراضى الممنوح لشركة انجليزية منذ عشرة سنوات فى مديرية البحيرة تعديلا طفيفاً يمكن معه التغلب على مشكلة ادارية قد نتجت .

والثالث التماس من المدعو (شارلس ديوزييه) الفرنساوى التبعية يلتمس فيه الترخيص له باقامة مصافى للملح تمتد على قسم من شاطئ البحر فى مديرية الغربية مع اعطائه وحده الحق في استخراج الملح من ماء البحر داخل حدود هذه المديرية وان تقاسمه الحكومة في الأرباح .

بعد ان يصرح الوزير بأن مسائل اليوم (كلها تافهة) يحدق بالسكرتير ويقول (فلنبدأ ! يالله أومال بالعجل !)

فيبدأ السكرتير بصوت مرتعش مرتجف . (يكرر) المذكرة التفسيرية للمسألة الأولى .

فيقول ما كناب بكل رزانة وبرود «أهي أول أم ثانى أم ثالث مسألة هذه التي يقرأها السكرتير ؟ ليس عندي اى اعتراض على سماع المسائل بالترتيب الذي تستصوبونه سعادتكم ولكني أود ان أعرف اي ترتيب ستعرض به هذه المسائل وانه لمن المستحيل تماماً التكهن بما يقرأه السكرتير مادام يقرأ بهذه السرعة وهذا الابهام والادغام»

فيقول الوزير « الحق معك ! طالما نبهتك ياخليل افندي وأمرتك ان تقرأ على مهل وبوضوح حتي نستطيع معرفة ما نعمله . دى مصيبة ايه دى ! انت مابتفهمش ! »

فيبدأ السكرتير التعس الذى يبدو عليه كانه فى حمام بخار يعيد قراءة المذكرة بصوت (حزاينى) وبسرعة كلمة واحدة فى الثانية .

فيقول دى شالون « اتجرأ ان أقول بأننا اذا سرنا بهذه السرعة فسوف لا ننتهي من عملنا قبل الساعة التاسعة مساء .

واذا شئتم سعادتكم أن يكون الأمر كذلك فليس لدي ما أقوله ولكنني الفت نظركم فقط لهذه النقطة »

فيقول الوزير « دى مصيبة ايه دى ! لماذا لا تقرأ بسرعة معتدلة لا بسرعة فائقة ولا ببطئ متناهى ؟ »

الآن وقد فقد السكرتير التمس صوابه تماماً وتأكد من ضياع مركزه فانه يبقى صامتاً واذ ذاك يأمره الوزير بأن يحضر الورقة اليه فيفعل ذلك وركبتاه ترتعشان تتلاقيان وتفترقان .

فيقول الوزير بصوت أب رحيم « اقرأ هكذا (قميص وجوزين شرابات قرش صاغ) — الله ! ايه هوه ده ؟ ده مش البيان بأعمال اليوم ! انت ياجدع بتضحك علينا ولا ايه ؟ »

فيقول السكرتير البائس بصوت مرتجف ان سعادته انما يقرأ ظهر الورقة وقد كان كتب عليها مذكرة خصوصية — فى الواقع جزءاً من حساب غسيله — وانه متأسف جداً ولقد فعل ذلك سهواً وبدون تفكر وانه يؤمل

ان صاحب السعادة ......

فيقول صاحب السعادة « هذا عمل غير لائق . مسخرة وكلام فارغ ! حسابات الغسيل يجب ان تحفظ فى دفاتر الغسيل لا ان تكتب على ظهر بيان مقدم للجنة مكونة من كبار موظفى الحكومة المصرية وتجعلنى أنا — واحد وزير — اقرأ سخافات وكلاما فارغا عن قصان وشرابات امام هيئة اللجنة كلها . »

فيقول ما كناب « أرى انه خير للسكرتير وأسلم عاقبة أن يضع الأشياء في مواضعها التي قدرت لها »

ويقول دى شالون « يجب عدم الخلط مطلقاً بين اعمال الحياة الرسمية وبين تلك التى نعالجها فى حياتنا الخصوصية وبصفتنا الخصوصية » — ولعل هذا قول صائب نظراً لما يسمعه الواحد عن حياته الشخصية .

يحدق بى القبطي بعينيه الجامدتين فأفهم مراده وأقول للوزير اننا كلنا عرضة للخطأ فى بعض الاحايين واننى أتجاسر ان أشفع ....

فيقول صاحب السعادة الذى هو في الحقيقة خلاصة طيبة الطبع وحب النفس « حسنا حسنا ياعزيزى اللورد ولنستمر الآن فى عملنا » ثم يلتفت الى دى شالون ويقول « ولعلك لاترى بأساً في ان تقرأ لنا المذكرات التفسيرية حيث انها مكتوبة باللغة الفرنسية »

فينحنى دي شالون بفتور ويتناول الورقة ويأخذ فى قراءتها كأنه يملى علينا املاء فرنساوية . فاذا ما انتهى من قراءةمذكرة المسألةالاولي يقف وينظر الى الوزير وينحنى مرة ثانية .

فيبتسم الوزير للاعضاء عامة ويسألنا عما نراه فى هذه المسألة قائلا ان الامر فيما يلوح سهل بسيط فنحن نحتاج الى سوق وها هو رجل يريد اقامة سوق . اما هو فانه سيمتنع عن ابداء أى رأى ولكنه يود أن يسمع آرائنا وما ندلي به .

يريد ماكناب قبل ابدائه لأي رأى أن يسأل بعض أسئلة قليلة ثم ينطلق فى أسئلته. أولا يريد أن يعرف ماهو

الامتياز وما اذا كانت هذه المسألة تقع تحت نص التعريف المتفق عليه أم لا. ثانياً ما المقصود بكلمة سوق وهل ما اذا كان السوق والارصفة لمرسي السفن أمر واحد لايتجزأ أم لا ... وهلم جرا نقطة فنقطة.

فاذا ما أتم أخيراً ملحوظاته التي (وخمت) الوزير وشردت عقله يقول دى شالون انه شخصياً يري ان المسألة مسألة خطرة بل خطرة جداً. مسألة تتطلب بحثاً وفحصاً وتحقيقاً وتمحيصاً طويلا.

ويقول القبطي بأنه لا يميل الى اجابة هذا الالتماس.

فيسأله صاحب السعادة «ولماذا ؟»

فيجيبه القبطي بأنه لا يظنه مشروعاً مفيداً.

فينطلق ماكناب ثانية. ونتمتع بسماع محاضرة أخرى تستغرق عشرة دقائق عن مزايا ومضار الاقتراح.

ينظر الوزير الى الآن فاسأل القبطي ما اذا كان يعرف صاحب الامتياز.

وهو سؤال قد أصاب الهدف لان القبطي يجيبني بانه سمع عنه.

«وما الذى سمعته عنه؟»

«انه رجل سبق ان ذاق البؤس وحلت به المصائب والرزايا .»

فيقول الوزير «ولكن ليس هذا سببا لأن نرفض التماسه فكلنا عرضة للمصائب والرزايا .»

فيوافق القبطى على ذلك بخضوع

فاتساءل قائلا «لعله جر هذه المصائب على نفسه باعماله ؟ وما طبيعة تلك المصائب ؟»

«هى مسائل كانت لها علاقة بالقضاء والمحاكم !» ثم يلتفت فجأة نحو السكرتير ويقول «أظن ان خليل افندى يعرف عنها أكثر مما أعرف !»

فيسأله الوزير «ما الذى تعرفه ؟ ماهى مصائب هذا الرجل المسكين ؟»

فيقول السكرتير متلعثما «بلغنى انه كان حكم عليه بالحبس خمس سنوات من أجل اختلاس وتزوير»

فيرعد الوزير ويزبد صائحا «ولماذا لم تخبرونا بذلك

من قبل أيها المغفل ؟ »

فيأمن السكرتير قائلاً « لم أكن اعرف ! لم اكن أظن ! لم أكن متأكداً ! »

فاقترح ان تؤجل هذه المسألة الى الاجتماع التالى وان تعمل تحريات أخرى عن أخلاق مقدم الطلب و بالخصوص عما اذا كان حكم عليه من اجل جريمة جنائية .

فيدمدم القبطى بسكون قائلا « لقد كانت في سنة ١٩٠٥ ـ مارس سنة ١٩٠٥ »

ننتقل الي المسألة الثانيـة بالرغم من الميل الظاهر على ما كتاب لان يجادل و يناقش فيما اذا كان من الصواب ان نتأثر بشهادة السكرتير وهو ليس عضواً فى اللجنة .

فافتتح الكلام فى المسالة الثانية بعد ان يقرأها دي شالون وأبين لهم ان هذه فى الحقيقة مسالة اجراءات قانونية فان ملتزمي الامتياز يرغبون في تعديل نص البند التاسع وليس لدى المالية والاشغال العمومية اعتراض ما على هذا التعديل وهو تعديل لايجحف بمصالح الحكومة .

فيقول الوزير وقد فرج عنه « عال ! اذن في وسعنا أن نتفق على ذلك »

ولكنه ان كان يؤمل اننا سننتهي من هذه المسألة بمثل هذه السهولة فقد خاب أمله .

فان ما كناب يشرع يبحث في ماهية التعديل ومعناه بالضبط و يصرح بانه تعديل فنى للغاية .

ولما كان نص الامتياز محرراً باللغة الانجليزية فقد استدعى الامر شرح جميع ما مر للوزير ودي شالون باللغة العربية و اللغة الفرنسية وارتبك صاحب السعادة وأعمى عليه معنى (عندئذ وبعدئذ) و اخذ يكررهما لنفسه متسائلا همساً « والآن ما معني هذا ؟ » — وهو يعتقد أيضاً اعتقاداً راسخاً ان ما كناب معارض لدود للتعديل .

اما دي شالون فانه يكرر أولا عبارته (أياها) التى لاتتغير وهو انه يرى ان المسألة مسألة خطرة . مسألة تستدعي فحصاً تاماً ثم يندفع فى الشكوى والتذمر واتهام جميع شركات الاراضى البريطانية .

فيقف ما كناب موقف المعارض لذلك التعميم. ويلوح كأن لا رجاء هناك في هذه المسألة قبل انقضاء ساعة أو ساعتين.

وأخيراً يقترح صاحب السعادة أن يدلي القبطي بآرائه فيجيب مرقص بك بخضوع قائلا انه لا يعرف من هم الموافقون ومن هم المعارضون.

فيقول صاحب السعادة « اذن فأنت لم تفهم. لورد سل باشا موافق وأما هؤلاء السادة » — مشيراً اليهم بقامه — « فانهم معارضون »

فيقول ما كناب « عفوا ياصاحب السعادة انني لم أقل ذلك قط أنني في الحقيقة أرى ان التعديل ليس مستحباً فحسب بل ضروريا حتما »

فيقول صاحب السعادة « ايه ! وأنت يامسيو دي شالون ما رأيك اذن ؟ »

فيكون جوابه هكذا « أذكر سعادتكم بانه ولو انني حذرت اللجنة قياما بالواجب عليّ وبينت لها ان المسألة مسألة خطرة فانني لم أصرح مطلقاً برأي معارض للاقتراح

وهو اقتراح أوافق عليه مع التحفظ الذى قدمته »

فيقول الوزير « اذن نحن جميعاً متفقون . مش كده يامرقص بك ؟ »

فيجيبه هذا الفاضل محنياً رأسه بجلال واحترام كالعادة

وبعدها ننتقل الى المسألة الثالثة وهى لحسن الحظ الاخيرة .

ويهمس الوزير الى قائلا « ما كنت لأستطيع تفهم ذلك الجزء الذى فيه «عندئذ وبعدئذ» بينما يكون دى شالون (بدلاك زوره) « داحم » رسمية توطئة لاعطائنا املائنا الثالثة . »

فيعالج هذه المسألة بعد المقدمات والتمهيدات لوزارية ويطنب ويسهب بتطويل فى وصف مزايا المشروع.

اما ما كتاب فانه يحمل على المشروع بحجة ان جميع الاحتكارات مؤذية مضرة فأوافق أنا على رأيه .

ويوافق صاحب السعادة على آراء كل منا مظهراً بذلك عدم تحيزه ثم يفوه بالبيانات الآتية وهى ان الملح من ضروريات الحياة وان البحر ملآن بالملح وان الاحتكار

يمنح صاحبه مزايا مخصوصة أهمها وأظهرها هو عدم وجود المزاحمة وان الملح فى بعض الاحايين يكون أغلي وفى بعض الاوقات يكون أرخص وانه يختلف فى نوعه وصفته .. الخ

ويختم دى شالون الخطابة بذكر الاعمال الفرنسية منوهاً بالعلاقات التي تربط فرنسا بمصر محييا نابليون وهلم جرا ..

ويشنف اسماعنا ما كتاب ويطربنا بذكر مختلف أراء الاقتصاديين فى الاحتكارات وفى ثمن الملح وقيمته التجارية .

يكثر الأخذ والرد والجدال وتبدأ المناقشة تحتدم احتداماً تخشى مغبته خصوصاً بعد ان عرّض دي شالون بشيء — أو لعله شخص — اسكتلاندي .

تقع عينى على السكرتير فأري انه في حالة خوف وفزع واضطراب تقرب من الجنون وانه يجتهد في لم شمث قواه وشجاعته المبعثرة لكي يفعل شيئاً يعلم انه سيستنزل سخط جميع اللجنة على رأسه المخلصة .

فانتهز فرصة سكون مؤقت وأخاطب مرقص بك
راجياً اياه ان ينظر بين أوراق الدعوى وهي موجودة على
المائدة بينه وبين دي شالون . لأنني أظن هناك ملحقاً
ما للمذكرة التي قرأها لنا دي شالون . فيحدث هذا سكونا
تصطك أثناءه أسنان السكرتير بينما يكون مرقص بك
آخذا في فحص الأوراق بكل دقة وتؤدة.

يعلن مرقص بك بصوته الرزين الهادئ قائلا « لقد
أصبت ياصاحب السعادة فان قلم قضايا الحكومة الذي
عرضت عليه المسألة يري ان هذا الالتماس مما لا يمكن
قبوله لأن الارض المذكورة تقع فى دائرة المساحة الممنوح
بها امتياز لشركة الملح المصرية فى عقد الايجار الصادر منذ
٧٠ سنة . »

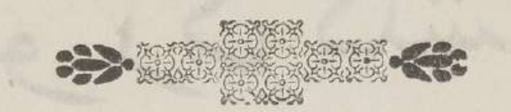
فتبدو علينا الغباوة والكسوف (ونقعد مبهلولين)
وبنا ميل الى لوم دي شالون والى الاعتقاد (بأن الحق عليه
وان دي غلطته) حتي يقوم الوزير وقد كان جالسا محدقا
بالبقية المعتوهة الباقية من رجولية من كان يدعو نفسه

سكرتيرنا و يصيح به بصوت شبيه بطوفان الامواج وزلزلة الارض سائلا اياه لماذا لم يخبرنا بهذا . ولكن المسكين كان قد أصبح في حالة لايستطيع معها شرحا و لا تفسيرا ولم يعد يستطيع الا أن (يبرطم) و يتمتم عن فقره وعدد عائلته ولو استطاع التكلم لكان ذلك أدهى وأمر لانه كان لا مفر له حينئذ من الاعتراف بانه لم يجسر على مقاطعة دي شالون أو ما كتاب .

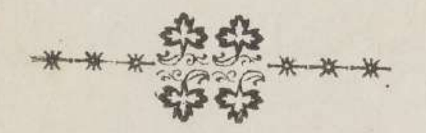
فيصرخ به الوزير قائلا « لقد جعلتني أولا أقرأ ماكتبته عن جواربك الحقيرة وتركتنا بعد ذلك نصرح للصوص باقامة أسواق ثم عدت أخيرا وتركتنا زمنا طويلا جدا ونحن نتناقش ونتباحث فى أمر امتياز ليس له وجود لقد سببت تأخيري عن امور مهمة ليس لمثلك بها علم امش ! غور ! »

فيجمع السكرتير أوراقه و يطير هاربا من الحجرة مسقطا في طريقه نتفا وشذرات من المراسلات .

وعندها نذمه ونذكره بكل منقصة وملامة الى ان يهدأ غضب صاحب السعادة ويقول بانه لم يعد (بطال خالص زى ما كان الأول) وان المسكين صاحب عائلة كبيرة . ومعنى هذا ان الوقت قد حان لأن نكف عن قدحه وذمه ثم نتحادث قليلا وبعدها نفترق .



اللورد كتشنر



اللورد كتشنر

****

(كان اللورد ادوارد سسل يكتب هـذا الوصف المختصر للورد كتشنر عند ما داهمته الانفلونزا وكان ذلك قبل وفاته بزمن قصير)

***

أكتب هـذا بينما أعالج رئة عليـلة فوق قمة جبل سويسري وليس لدي شئ من خطاباتى القـديمة ولا أجزاء من مذكراتى اليوميـة ولا أى اوراق أخرى قد تساعد ذاكرتى . وليست هذه محاولة لأكثر من وصف مختصر تصف فيه الذاكرة مميزات ذلك الرجـل العظيم : تلك المميزات التى أثرت فى أيام الاحتكاك الشخصي باللورد كتشنر الذي كان لى الشرف فى نواله .

لا أستطيع ان أذكر تماما متى رأيته بالضبط لأول

مرة . كان ذلك في هاتفيلد وكان والدى قد دعاه الى منزلنا وأظن ان والدتى لم تكن قد رأته قط . اما والدي الذي كان قد قابله بحكم وظيفته في خلال الاعمال فقد أثرت فيه كثيراً شخصية الرجل وأننى أذكر ذلك جيداً لأن والدي لم يكن غالباً بالذي يتأثر بسرعة .

لا أتذكر من امر زيارته الا القليل اللهم الا انه استيقظ فيما بدت لى وقتئذ انها ساعة مبكرة جداً وهى الساعة السادسة بينما يبدأ اليوم في هاتفيلد فى الساعة التاسعة ونصف هذا اذا كنت تشعر بنشاط .

ثم جاء بعدها وتناول معي طعام العشاء وأنا فى الحرس وأود ان أعتقد أننى تلطفت معه وعاملته معاملة الرفيع لمن هو دونه ولكنني واثق جيداً من أننى لم أفعل ذلك اذ ان نظرة واحدة من تلك العين كانت تكفى لأن تلزمنى حدى . — وأدري اننى سألته وقتها ان يتخذنى يوماً ما ياوراً له ولا أستطيع ان أفسر جراءتى هذه الا بأن المرء فى تلك الايام كان يكثر من شرب الشمبانيا وهو فى الحرس.

لايمكنني ان أتذكر متي كانت رؤيتي له في المرة الثانية ولكن أظن انها كانت عند ما حضر الى لندرة بعد الحادثة التي أهانه فيها الخديوي الشاب في حلفا . — ولقد قال وهو يهز رأسه برزانة ووقار « انه ولد خبيث . ولد خبيث ! » — لم يكن عنده من الحقد والضغينة الا التافه اليسير فانني لما اخبرته بعد ذلك بعامين كيف انى أمقت الخديوى لم يستطع أن يفهمني لان الخديوى لم يكن بذى أهمية كافية لأن يمقت . — وقد يستطيع هو (اللورد كتشنر) ان يكره شخصاً قضى على مشروعاته بل لسعى بكل جهده (بصرف النظر عما يراه الآخرون) لكي يزيل عائقاً كهذا ولكن رجلا قد اهانه فقط ليس بالذى يستحق منه اى اهتمام .

واذا استطاع أحد القول بوجود صفة مفسرة لخلقه : صفة متغلبة بارزة واضحة فقد كانت تلك الصفة اهتمامه بانجاز الغرض الذي كان يأخذه على عاتقه واتمام ما كان يكلف نفسه او يكلفه الآخرون بعمله مقدماً ذلك على كل اعتبار

آخر . فكانت الراحة والعواطف والشخصيات كلها اعتبارات لا قيمة لها عنده وكان الغرض هو المقدم على كل شئ . — كان يشعر انه لو لم ينجز عمله ويقوم بواجبه لكان في ذلك خديعة لله القدير على كل شئ . — وقد ذكرت هذه الصفة المميزة على حدة لأن تفهم خلق الرجل يتوقف على ادراكها وتذكرها .

لما بدأت حملة النيل في عام ١٨٩٦ تلقيت برقية يعرض عليَّ فيها ان يتخذني ياوراً له فقبلت طبعاً بحمية وحماس . ولا ينبغي أن يظن ان عندي أو كان عندي أي توهم عن سبب تعضيده وعنايته فقد كان أبي وزير الخارجية ورئيس الوزراء وما عرض هذا المنصب عليَّ الا لارضائه فقط لا لسبب آخر . لم يكن اللورد كرومر مستحسناً لسياسة الفتح في السودان ... اما كتشنر فكان . لهذا أصبح تعضيد والدي حيوياً لنجاح مشروعه بأجمعه وأصبحت أنا بالتبعية من ذوي الاهمية .

خدمت معه طول الحملة ولا أستطيع ان أقول بصدق انني

أحبته فى ذلك العهد فقد كان حينئذ أكثر فظاظة وخشونة مما كان بعد وقلّ ما كان يعنى بأمر احد بل كان مستبداً شرساً ميالا دائماً الى زجر ونهر بطانته شأن بعض الرجال الذين يتواقحون على زوجاتهم . كان يميل الى تنفيس كربه وسويدائه في من هم حوله وكثيراً ما كان يبقى عابساً كئيباً صامتاً ساعات عديدة . — كان أيضاً رئيساً متعباً لأنه لم يكن يدعك تعلم قط متي سيفعل أى شئ وكان يحب ان ينسل خارجاً وحده ولكنه لم يكن يحب ان تدعه يفعل ذلك . — كان يتناول طعامه في أية ساعة كانت وأما أركان حربه فطالما اضطروا بعد شغل يوم متعب من أيام الصيف فى السودان ان يبقوا فى انتظار عشائهم الى الساعة العاشرة وكثيراً ما تناولوه وهم في صمت تام كأن على رؤوسهم الطير . — ولقد بزّت «أعصابه» في الخشونة والقسوة ولا عجب فقد كان قائما بعمل خطير ومغامرة كبرى . — وكان أولى الأمر فى وزارة الحربية ضده لأنهم كانوا يرون انه كان من الواجب ان يلقى عنان الحملة

اليهم لذلك لم يكن ليحزنهم فشله . وقد جاهر اللورد كرومر علانية بكرهه للحملة واتخذ رأياً متشائماً عن الحالة ولم يكن اللورد كرومر يمثل فقط الحكومة المصرية وعلى رأسها غورست الذى كان معارضاً لدوداً لكتشنر بل وجزءاً عظيما أيضاً من آراء أولي الأمر في وزارة الخارجية . لهذا كان على تعضيد والدى ومساعدة من كانوا معه اعتماد واتكال كتشنر . لم يكن يعرف جيداً والدي . كلا ولا الى أى حد يستطيع الاعتماد عليه فكان يدير أمور الحملة والقتال وفي عنقه حبل . اذا فشل كان ذلك فشلا مطلقاً تاما : فشلا لايخفف من سواده اى تبييض ولا يقيل صاحبه اي اعتذار بالصعوبات بل فشلا نهائياً يقضى قضاء مبرما على مستقبله وسيرته وعلى المشروعات التي كانت تدور فى رأسه وهى التى واحسرتاه ! لم يكملها قط ..... أعنى تشييد نيابة للملك (١) تضم الشرق الأدنى وافريقيا الشمالية .

---

(١) VICE ROYALTY

والصفتان اللتان استلفتا نظري كمتفرج عادى هما تحفظه فلم يكن يبدو عليه انه يثق كثيراً بأي شخص ... وسعة اطلاعه وتفهمه وحفظه للتفاصيل الى درجة يمكن معها القول بأنه لم تكن هناك مصلحة من مصالح الجيش المصرى لم يكن يعرفها حق المعرفة مثل موظفيها . ومع ان الجيش المصرى كقوة كان صغيراً الا ان القوة الصغيرة لها نفس عدد المصالح أو نفس العدد تقريباً الذي يكون لقوة كبيرة .

كان فى شخصه حسن الهندام نظيفاً دائما نظافة تامة ولم يكن يصبر على التهاون فى هاتين الصفتين الا بصعوبة ولكن من الجهة الأخري كان مكتبه بحرا من الاوراق المطروحة على الموائد والمقاعد واعتاب النوافذ وأرض الغرفة لهذا لم يكن أحد غيره يدرى أين مقر أية ورقة مخصوصة أو موضوع ما او يستطيع العثور على شيء . — ولم يكن يدع أحدا ما يلمسها اللهم الا واطسن و بيلى اذا كانا موجودين وكذلك بعض أفراد آخرين كان يثق بهم .

ولقد سمعته يسأل ضابطا كان أرسل في طلبه أن لا يقف على كشوفات مصلحة المهمات والتعيينات .

كثيرا ما كان ينطلق بعد الفجر وهو يخطو بتلك الخطوة المتخطلة الغريبة الى فناء المحطة أو المرفأ او ساحات المخزن أو الي اى مكان كان يعنيه أمره لحظتها . — كان يدرك كل شيء . لاشيء يفوته ولكنه من الوجهة الرسمية كان ينظر أو لا ينظر حسب ما يهوى ويختار وكان فى بعض الاحايين يحب على ما يظهر أن يرافقه احد ولكنه كان يحب في الغالب ان يمشي متقدما وهو غارق في تفكير كئيب . — كان ينجز عادة عمل ثلاثة ساعات طوال قبل تناول طعام الفطور ثم يشتغل بعدها ماعدا ساعة الغذاء الى الساعة السادسة مساء وعندئذ كان يحب غالبا ان يشرب قدحا من (الجن أو الفرموت مع الصودا) ويتجاذب اطراف الحديث . وكانت هذه الساعة الطف ساعاته ثم يعود بعدها الي العمل حتي وجبة العشاء وكان يتناوله في أية ساعة ثم يذهب مبكراً الى غرفته . ولا أدرى ما اذا كان من عادته

الشغل أثناء الليل و لكنني كثيرا ما رأيت نور غرفته يسطع في ساعات متأخرة من الليل .

كان بعد خبرته الطويلة بالشرق ذا عقلية تهكمية ميالا لأن ينكر وجود اى عمل يكون الباعث عليه شيء خلاف دواعي المصلحة الشخصية ... أو على الأقل كان يتظاهر بذلك فقد كان عنده في الحقيقة أكبر ثقة فيمن كانوا يستحقونها و لقد كان من النادر ان لم يكن من المستحيل أن تكذب فراسته او ينطلي عليه الخداع . — اما تهكمه واستخفافه فكانا الى حد كبير جزءا من الحياء الغريب الذى كان يأبى عليه اظهار أى جزء خفى من حياته او عقليته فكان يمقت التكشف عما تكنه النفس او يختلج به الصدر بل وكان يخاف خوفا شديدا من اظهار أية عاطفة او تحمس فكان يفضل ان يساء فهمه من ان ينسب اليه وجود عاطفة بشرية . بيد ان تهكمه وتريبه اللذين كانا نتيجة وجوده في الشرق لمدة سنوات ومن جهة أخرى ستارا مصطنعاً

لاخفاء عواطفه الأخرى كانت تصحبها بساطة طبيعية تكاد تكون كبساطة الاطفال سواء فى نظرته الى الحياة أو فى اظهاره ما يخفيه معظمنا بعناء .

لم يكن فى تكوينه أى أثر للرياء بل ولا تلك الصفة التى تتحول الى تصنع الآداب فكان اذا هم بمخالفة العرف أو التقاليد بأى شكل قال ذلك ولطالما القي الروع والدهشة فى نفوس الافاضل المتأدبين . — كان من الطبيعي ان يساء فهم هذه الناحية من خلقه وما كان منشأها الا الصفة المميزة التى ألمحت اليها . — كان اذا أراد جمع تبرعات لغرض اعتقد بأنه جدير للمساعدة جمعها أو اغتصبها من الناس اغتصابا اذا لم يمكن الحصول عليها سوى بهذه الوسيلة . وانك ان أنعمت النظر فى ذلك الخلق لرأيت انه لم يذهب الى ابعد مانفعله نحن جميعنا وانما كان يأنف من تغطية اسبابه ووسائله بأي ستر كان . — كانا نحضر امراء من العائلة المالكة لكى يفتتحوا الاسواق الخيرية لاننا ندري ان حضورهم يجلب ايرادا كبيرا وهكذا لما شعر اللورد كتشنر ان لشخصيته

قيمة طلب بكل هدو اعانة مالية لجامعة غردون ثمناً لترأسه حفلة ووضعها تحت رعايته . كذلك احتاج مرة من أجل المحافظة على كرامته ومركزه الى أوانى وصحف فضية لم يكن فى مقدرته شراؤها فبدلا من ان ينوه ويلمح حينما تلقى حرية مدينة بارنستبل يرسل رسالة على يد ثلاث او أربع أشخاص يتلقاها واحد بعد آخر بأنه يفضل هدية مكونة من أوانى وصحف فضية خيراً من علبة ذهبية .... أخبر صراحة محافظ المدينة وأعضاء مجلسها بما يريد . — كان المهم لديه انما هو الشيء الذي يطلبه واما كيفية الحصول عليه فقد كان لديه أمر ثانوى الأهمية .

هناك سبب آخر لخشونة طبعه وحرج صدره البادي فى ذلك الحين وهو ضعف صحته فقد كان مصابا بعسر الهضم وكان يعانى من شدة القيظ لأننا كنا في صيف عام ١٨٩٦ وليس لدينا ما نظلل به فى أشد مكان على ظهر الارض حرارة وقيظاً . ولقد كان أيضاً طول حياته فريسة لنوع حاد جداً من الصداع وهو بالطبع أمر لم يكن ليجعله

بشوشاً رحب الصدر . — كذلك كان عليه ان يحافظ على النظام بين ضباطه وأركان حربه ولم يكن ضباط الجيش المصرى البريطانيين فى ذلك الحين جماعة مؤتلفة متحدة فقد كانت هناك جماعة على الحدود ـ وهى الا كثر عدداً ـ تعتقد فى كفاءة (هنتر) ولم تكن تحب كتشنر اذ ان شدته وصرامته والاقتصاد الذي كان يأمر به طوعاً لمقتضيات الاحوال واطاعة للأوامر العالية كلها أمور لم تساعد على تحبيبه لدى الجيش . لذلك لم يكن الانتقاد والتذمر بالشيء الغير مألوف وكان الموقف يحتاج الى يد قوية صارمة تسير الامور فى الطريق المستقيم .

مكثنا أولا زمناً ما فى حلفا ثم عندما أخذ النهر يعلو ويرتفع وأمكننا بذلك احضار سفننا أخذنا نزحف تدريجياً حتى دفعنا أخيراً الدراويش الى الوراء ووصلنا دنقلة. ويجب أن لايتوهم ان مسيرنا في النهر كان أمراً سهلا بسيطا فان صعوبة تموين قوة ولو انها مؤلفة من ١٥٠٠٠ رجلا فقط كانت شديدة شاقة فقد كانت طريقة المواصلات

الوحيدة بخلاف الابل (وكانت كشأنها دائما تموت بسرعة فان الجمل يصلح لنقل المؤونة المستمر بقدر ما يصلح البوهيمي للحياة العائلية المنتظمة) هى سكة حديدية قد مدت بسرعة مارة فوق أراضى وعرة صعبة . وكان الخط ملآنا بالمرتفعات المختلفة المخيفة والمنحنيات العديدة. وكانت أغلب العربات والقاطرات قديمة يرجع عهدها الى عصر الخديوى اسماعيل.ولقد طغي الماء فى ليلة فاكتسح ماطوله ثلاثون ميلا من هذا الخط في حين لم تكن لدينا الامؤونة خمسة أيام فقط لجميع الجيش . — ولقد أصيب عدد من أحسن سفننا بتلف شديد بينما كانت تجتاز الشلالات . وبدأ هبوب ريح الشمال فى ذلك العام متأخرا عن موعده المعتاد وهو ما عاكس سفننا وجعل سيرها ابطاء مما كنا أملناه . وتفشت (الكولرا) بين صفوف الجيش حتى بدت فى وقت من الاوقات كما لو انها ستعطل وتشل جميع الحركات الحربية .

على ان نشاط كتشنر وعزيمته لم يتطرأ اليهما الوهن

مطلقا أثناء تلك المصائب هذا ولو انه كان يتذمر ويتشكى
منها بتلك البساطة الغريبة التي أشرت اليها آنفا فكان
يتأفف قائلا انه آخذ فى بذل كل ما أوتى من قوة وجهد
فاذا عاقته القوات العلوية عن بلوغ مراده كان ذلك منها
ظلما وقسوة وهلم جرا . — والمرة الوحيدة التي خانته فيها قواه
وأسقط فى يده كانت بسبب امر لم يكن في ذاته حسبما بدا ذا
أهمية جوهرية وبيان ذلك اننا كنا بنينا بعد الشلالات
سفينة مدفعية من نوع جديد وكانت تلك السفينة عزيزة
لديه كأنها قرة عينه وذلك بسبب أهميتها العملية لأ ننا كنا
نؤمل من وراء سرعتها وسلاحها الشيء الكثير وكذلك لأنها
كانت الى حد كبير وليدة فكرته الخاصة : ولقد بذلوا كل
مجهود حتي أتموا صنعها وأصبحت جاهزة فى الوقت المحدد
للزحف على دنقلة ولكن حدث أثناء سياحتها التجريبية
ان أصابها خلل نشأ عنه انفجار احدي اسطواناتها واضطررنا
الى تركها وراءنا .

جعلته هذه الحادثة كئيباً مهموماً وأثرت فى نفسه

تأثيرا لم تؤثره كبيرات الحوادث الخطيرة فلم نجرأ على ذكر الحادثه مدة يومين الى ان علمنا بأن الاجزاء الجديدة آتية في الطريق . وسواء كانت تلك السفينة آخر سهم في كنانته وقد انكسر في يده السهم أو انه كان يعلق على وجود هذه السفينة في الزحف على دنقلة أهمية خاصه لم نكن نعلم بها فهو أمر أجهله . وهذه المسألة هي احدى المسائل العديدة التى كان الواحد يود ان يسأله عنها يوما ما في ظرف مناسب والتى سوف تظل الآن مجهولة أبدا .

أذكر من أجل توضيح مقدار قلة تفهمه لخلق والدى في ذلك الحين انه اعترض على برودة عبارتى في كتابة التقرير الاسبوعي الذي كنت أرسله الى والدي بناء على طلبه ثم أعطانى كانموذج قطعة من النثر كان أملاها وهى قطعة كان يحمر لها خجلا لو رآها (اصدغ) محرر فى الديلي ميل ولكنه لم يلح حينما ترددت ولكني واثق من انه كان مقتنعاً بأننى كنت على خطأ .

ولما عاد الى القاهرة سمح لى بعد ان تركنى فى شك

ثلاثة أيام بالعودة الي انجلترا حيث قابلته بعد ذلك .

ذهبت الى الحبشة في عام ١٨٩٧ ولم أره ثانية الا عند ما التحقت فى عام ١٨٩٨ بأركان حربه بالقرب من أبى حمد وذلك فى حملة الخرطوم . — ومع ان مميزاته العمومية بقيت بالطبع واحدة لم تتغير الا انه كان قد لان كثيرا ودمثت أخلاقه وذلك بعد ان أصبح اكثر ثقة بثبات مركزه عالما ان وراءه من يعضده ويناصره . كذلك كانت الاعمال الحربية سائرة على ما يرام ولم تبق امامه صعوبة كبرى الا وسائل النقل لان تقوية الجيش بلواء من الجنود البريطانيـة كانت قد جعلت أى تمرد من جانب الجيش المصري أمرا بعيد الوقوع . — وصلنا العطبرة وسرنا فى ذلك النهر لكى نقضى على محمود وجنوده ومن ثم اقلعنا بالسفن الي حيث كان الدور النهائى من ادوار المعركة وهو الهجوم على الخرطوم نفسها . — كان الحظ اسعدنى لما سقطت ام درمان ان ذهبت وحدي مع اللورد كتشنر الى الخرطوم وهو كعادته لم يكن يصطحب معه حرسا ما سوى

خدمه (المراسلة) . ولقد كان يقيناً متأثراً من التذكارات التاريخية التي بعثتها في نفسه تلك الأماكن فانه اهتم بتعرف البقعة التي خر فعلا فيها غوردون مضرجاً بدمائه والمكان الذي بقيت فيه جثته مطروحة من غير دفن . — كان كثير الرأفة واللطف مع الفقراء فلقد جاءه مرة بستاني عجوز وهو يبكي خوفا من ان يسرح ويرسل الى بلده بعد ان قضى خمسين عاماً في الخدمة فتلطف بحاله وطيب خاطره . ولكن عقله كان منصرفاً الى المستقبل يعد له المعدات وقد بدأ يضع الخطط والرسوم لاعادة بناء عاصمة السودان وعيناه صوب الجنوب . — الواجب والقيام به كانا لديه فرضين محتم قضاؤهما قبل كل شيء : الاستيلاء على السودان واعادة النظام والسكينة اليه كان كل مايهتم له في الحقيقة لذلك لم يلهه عنه حتى ولو مؤقتاً ذلك الاهتمام الشديد الذي أثارته في نفسه رؤية المكان ذي الحوادث التاريخية المؤثرة .

عدنا الى القاهرة بعد حين ومن ثم ذهبت الى انجلترا لا لتحق ثانية بفرقتي وجاء اللورد كتشنر الى انجلترا بعد

ذلك بزمن قصير واقى بسبب سوء تصرف البوليس أكبر صعوبة فى الخروج من محطة فكتوريا . — كان يسكن كما كان شأنه دائما عند ما يكون فى لندرة فى منزل بانديلى رالى فى ميدان بلجراف وقد كان ضمه مؤقتا . — كان رجل من الخطر ان تزوره أثناء اقامته في لندرة اذ انه كان يمسك بك ويجبرك على العمل فيما يعتقد انك تستطيع عمله باتقان دون ان يبالى مطلقا بما اذا كانت لديك شواغل أخرى وقليلون هم — كنت على وشك ان أقول لا أحد مطلقا وهو الاقرب الى الصواب — من كانوا يجرأون على الرفض . كانت النتيجة ان المنزل كان دائما ملآنا بأكثر الطبقات اختلافا وتباينا وهم يتذمرون ويتشكون من عبوديتهم هذه ولكنهم غالبا كانوا يضحكون من حالتهم وغرابة موقفهم . فكان صديق لي وهو رجل فاضل قويم الأخلاق يقضي وقته بعد ان يتأكد من عدم وجود شيء مهم فيها فى احراق أكوام خطابات الغرامات التي كانت تنهال على كتشنر والتي ربما كانت تؤلمه قراءتها لأن مقام

المرأة عنده كان أعلى بكثير من المألوف فى تلك الايام ولذلك كان يؤلمه سماع أو رؤية ما يمس أو يحط من قيمة هذا المثل الأعلى . — وكان رجل آخر رقيق للشعور ذو أدب طبيعي جم يقضي وقته فى مقابلة أشد الناس القاء الروع فى النفوس مثل كبار الاغنياء من ذوى الملايين العديدة وأصحاب النقابات وكبار البنوك والمحل التجارية لكي يحصل منهم على اكتتابات لحكاية غوردون فكان يعود فى المساء متعباً منهوك القوى مذعوراً يسائل نفسه بقلق عما سيقوله كتشنر فى النتيجة التي حصل عليها .

كنت أرى كتشنر بعد ذلك من وقت لآخر ولكن لم يكن اختلاطى به متيناً متانة كافية لأن أتفهم أخلاقه . — قابلته في بريتوريا أثناء حرب جنوب افريقيا ومكثت معه ساعات قليلة ثم كنت أقابله بعد ذلك فى انجلترا من حين لآخر ولكنى لم اكن مطلقا على اتصال حقيقى به الا بعد ان قدم الى مصر عند ما أرسلته اليها حكومة متخوفة مذعورة كانت تحاول ابعاده عن عيون الجمهور . — ولا

أذكر الآن ما اذا كان وقتها مفتشاً عاماً للجيش أو مندوباً ساميا للبحر الابيض المتوسط ولكنى أذكر جيداً الآن كيف انه دون ان يفوه بكلمة واحدة او يستعمل سلطته اخذ بيديه مقاليد الأمور وترأسنا جميعاً. — ولقد كان من الممكن مشاهدة منظر غريب في الخرطوم وهو منظر الحاكم العام وهو يؤنب بشدة من سائح ليست له صفة رسمية وكم كان الحاكم العام مضطرباً خائفاً لأنه غيّر من رسم احدى الشوارع.

وما عدا رؤيتي له بطريق الصدفة فانني لم أره بعد ذلك الا عندما قدم ثانية الى مصر في عام ١٩١٢ فبعدها كنت أراه كل يوم تقريباً الى ان شبت الحرب فى سنة ١٩١٤.

***

لقد سردت كل هذه التفاصيل اذ انه من الضرورى تقسيم أى تقدير لخلقه الى مراحل وأزمنة مهما يكن ذلك التقدير وضيعاً. ففى أمر واحد لم يكن هناك رجل اعظم

منه ذلك انه ما اكتفى قط بما حصله من العلم بل كان دائما يطلب المزيد . — لم يكن عنده شيء من الغرور الذى يكاد يكون عاما والذي يجعلنا نخفي او نتهرب من البحث فيما لا نعرف فكان اذا عرض له أمر لا يدري عنه شيئا يبحث توا عن شخص يدرى واذا رأى ان ذلك الموضوع هو احدى الامور التي قد تعنيه فى المستقبل فانه كان يكثر من تفهمه والالمام به وبتفاصيله بقدر مايستطيع .

كان كتشنر ١٩١٢ رجلا طروبا راضيا مرضيا يقابل بالضحك أمورا لو انها اعترضت له في عام ١٨٩٦ لأعيته وضايقته كثيراً . — كان من الطبيعى فى خلال هذا العهد ان يراه المرؤ على مسافة أقرب من ذى قبل وفي ظروف أكثر اعتدالا وطبيعة ولذلك كان من السهل تكوين حكم اقرب الى الصواب والحقيقة فان مشاغل القتال واعباء الحرب وعظم المرمى الذي كان يسعي اليه كلها امور تشوه مؤقتا خلق الرجل فليس لك اذن ان تقول انك عرفت رجلا او ان في وسعك ان تصفه وصفا عادلا اذا كنت قد

قابلته فقط في خطوط النار .

وقد استطاع المرؤ أن يقدر صفات اللورد كتشنر العظيمة تقديراً أكثر عدلا وتؤدة عندما كان يراه كل يوم. كذلك أصبح المرؤ أكثر شعورا واحساساً بذلك الشذوذ وتلك المفارقات التي كانت في خلقه على ان الامر الذى استلفت نظر المرء قبل كل شيء سواء انها كانت حيوية عقله فقد كان دائما مشغولا بعمل شيء أو بوضع الخطط لشيء وكان ذلك الشيء دائما شيئاً كبيراً . — لم تمر به قط لحظة كان فيها قانعاً مكتفيا بما فعل ولم يكن هناك من كان يدرى ويدرك أكثر منه ان الحياة اقصر بكثير من ان تتسع لعمل كل ما يجب على المرء عمله فكان عقله يبحث دائما عن شيء جديد . عن تحسين جديد . عن خطوة أخرى يخطوها الى الامام فى ذلك الطريق الذى كان يتبعه . — كانت حاسة الاسراع المستمرة هذه منشطة منبهة ولكنها كانت متعبة جداً .

بيد ان هذه الهمة كانت كثيراً ما يساء وضعها فكان

كتشنر احيانا يأخذ على عاتقه القيام بأعمال لم تكن فى الحقيقة من اختصاصه ولم يكن فى وسعه القيام بها على مايرام على ان هذه الاحايين كانت فى الغالب قصيرة الاجل وكان على مرؤوسيه ان يكونوا دائما على استعداد لاتمام العمل الذى كان يتخلى عنه .

وأما صفته الثانية فهى صفة يشترك فيها مع كافة عظماء الرجال تقريبا وهى سداد رأيه ودقة تقديره للاشياء . فما كان يعظم في عينه الا العظيم فقط وما كان يعنى الا بجلائل الامور واثباتها متخطيا تافهها وصغيرها تاركا للآخرين القيام بها.

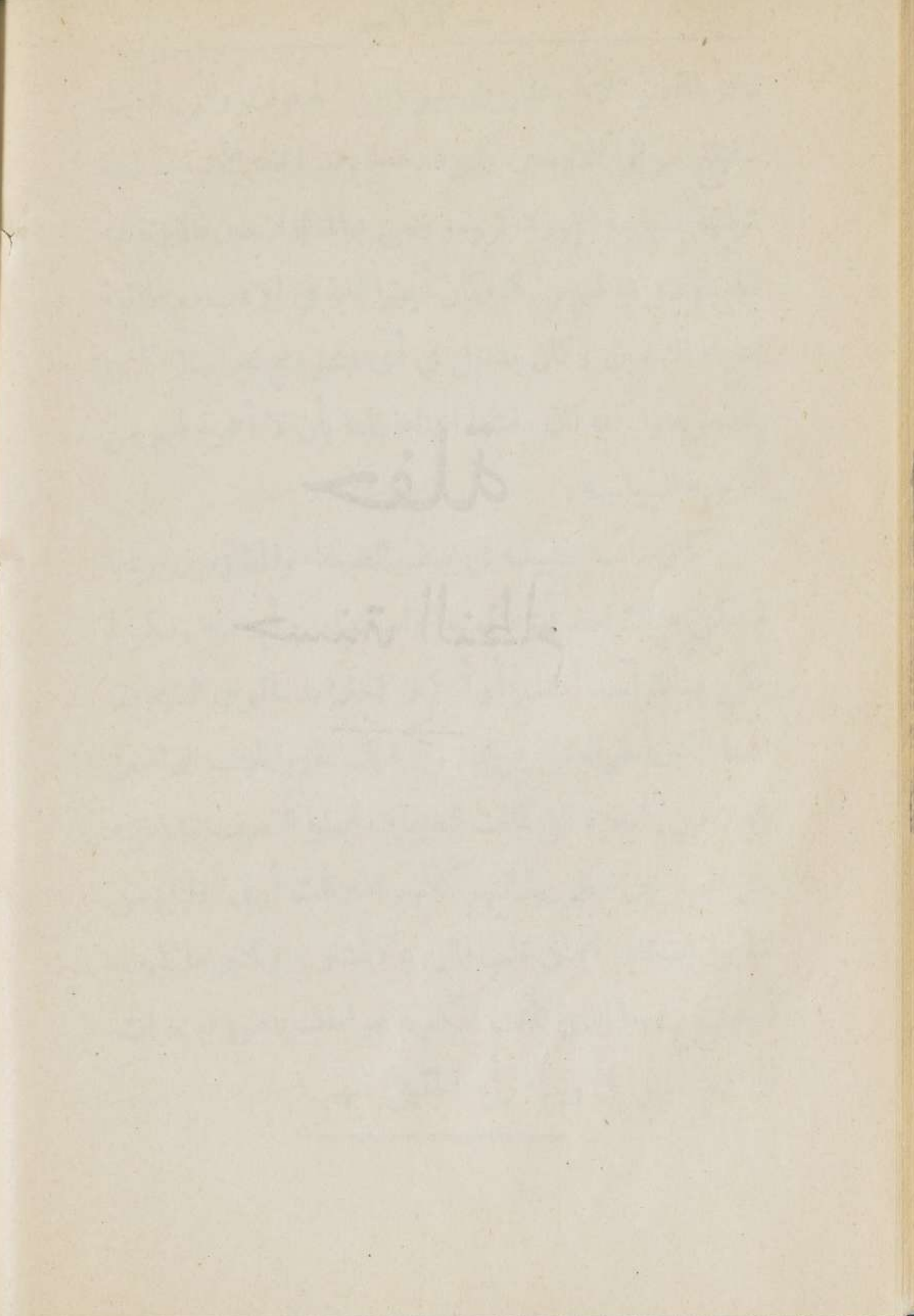
ولقد أدرك في الحال الاخطار التى ستنشأ عن مسألة الاراضي فى مصر ومن ازدياد السكان وتزاحمها على الاراضي مع قلتها وعدم كفايتها ومن اهمال الملاك أراضيهم وتركهم قراهم وعيشهم فى المدن والبنادر .. ادرك ان كل ذلك لا بد مؤد الي الشكوي والتذمر والغضب وان لامفر من حدوث اضطراب سياسي . — كانت نتيجة ادراكه هذا مشروعاته الهائلة الخاصة بالمصارف والري والتى بلغت حينما

غادر القطر ثلاثة وعشرين مليونا من الجنيهات والتي كانت ستبلغ حوالى الاربعين مليونا . — وقد اتخذ لنفسه سياسة شبيهة بسياسة اللورد كرومر وهى محاباة الفلاحين فأقام نفسه حاميا وصديقا لهم ولكنه كان أيضا غاية في الادب مع طائفة النبهاء المتعلمين وكان يدخل في أى مشروع غير ضار كانوا يقدمونه ولكنه كان مقتنعا اقتناعا تاما بأن لا أهمية لهم من الوجهة السياسية .

كان دائما بطبيعته في صف الضعفاء والمظلومين . ربما لم يكن هناك احد أشد تعسفا واستبدادا برأيه منه ولكن لم يكن هناك أحد أعدل أو أكثر احتراما لحقوق الضعاف المساكين اخوانه من بنى البشر . فكان الظلم والحيف الواقعين بالفلاحين والنظرة التي كانت الطبقات العليا النصف متمدينة من المصريين تنظر بها اليهم كأنهم مخلوقات أرقى بقليل من الحيوانات تثير اعماق قلب اللورد كتشنر . وكثيرا ما كنت أعجب ترى ما الذي كانت تكونه عواطف بعض البشوات لو أنهم تبينوا فى وجهه رأيه الحقيقى فيهم !

حفلة

حسنة النظام



حفلة حسنة النظام

*****

لقد بدأت الآن فقط أتخلص من تأثير جنازة مشيت فيها منذ بضعة أيام . —

وصلتني رسالة من محافظ القاهرة مفادها ان المدعو احمد عزت وزير الحربية سابقا في سنة (واحد) قد توفى وان جنازته ستشيع في الساعة الرابعة .

فصخبت ولعنت من كل قلبي ولكني شعرت بأن ذهابي واجب وهو ما وافق عليه موافقة تامة جميع مرؤوسي الذين لم تصلهم الدعوة .

كان ذلك اليوم أشد أيام السنة حرا بلا مراء فقد بلغت درجة الحرارة في الظل ١٠٥ ولكني بشجاعة عظيمة لبست بدلة فروك (سوداء وهي الوحيدة التي أملكها) وطربوشاً وسلحت نفسي بمظلة خضراء بيضاء وسرت الى دار المتوفى في الساعة الثالثة والدقيقة خمس وأربعين .

وقد جرت العادة فى مثل هـذه الأحوال ان يجلس المشيعون فى غرفة فى منزل المتوفى ردهة من الزمن قبل ان يبدأ فعلا سير الجنازه ويذكرون محاسن المتوفى وقصر الحياة وغرورها وهكذا من الأحاديث المنعشة المفرحة .

فلما وصلت الى الدار — وكنت وقاك الله — أقطر عرقا أدخلت الى سرادق فسيح (بدلا من الغرفة المعتادة) قد أقيم فى حديقة السيد المتوفى وكانت الشمس تسطع عليه بأشعتها المحرقة بشدة متناهية حتي كدت تحت تأثير العادة ان أخلع ملابسي وأطلب (فوطة) لأن الحرارة كانت حرارة حمام تركى .

ولقد أجلسونى فى مقعد (رطب) مذهب القوائم مكسو بالقطيفة الحمراء ولكم تمنيت وقتها ان أرفع المظلة فوق رأسى ولكني شعرت ان منصب المستشار المالي على رفعته وسموه مضافاً اليه كذلك ما اشتهر به بنو جنسي من الجنون أمران لا يكفيان بالكاد لحمايتي من استهزاء الناس وسخريتهم .

أدرت بصري فى الحاضرين فوجدت انى الاوروبى الوحيد الموجود وكان الى يسارى موظف يمثل سمو الخديوي وقد أجلسوه فى مقعد أكثر حمرة وأشد حرارة من مقعدي ومن الجهة الاخرى سيد طاعن في السن له مطالب غامضة لاحد لها ضد الحكومة حول معاش كبير.

كان الموظف - وهو على ما أظن أخبث خبيث فى مصر ماعدا ثلاثة - عدواً قديماً لى ولذلك كانت المحادثة من تلك الناحية بسيطة متقطعة في حين بدأت اسمع ثانية من الناحية الأخرى القصة الخيالية المحضة من ذلك المدعى القديم. وباعتبار حكايته قصة روائية فانها كانت بديعة للغاية ولكنها كانت معقدة جدا يصعب تتبعها وكذلك محتوية على أمور لا يميل المرؤ الى التفكير فيها فى يوم قيظ شديد فمثلا اذا كانت خدمة رجل يرجع أولها طبقاً لحكايته الى تاريخ أنت تدرى ان عمره فيه كان عامين فقط فهل من المعقول انه كان فى ذلك التاريخ أكبر مفتشى الجمارك وأعظمهم موضعاً للثقة كما يدعي ؟ وهل فى مقدور أي انسان ان يصدق ولو

بجهود رواية الرجل من انه رفت من الخدمة بسبب سلسلة مؤامرات دبرها ضده جميع كبار موظفي الحكومة و ذلك بمساعدة اللورد كرومر و تشجيع جميع قضاة المحكمة المختلطة ! أو ان القول بأنه سرق محض كذب وافتراء اذ لم يكن هناك ما يمكن سرقته وانه أعاد ما سرقه في اليوم التالي وهكذا وجدت الحسابات مضبوطة صحيحة ولكن رئيسه كان يسرق كثيراً .

أصغيت اليه والى حكايته وكم كانت ثقيلة على مسمعي .

بعد مرور العشرين دقيقة المعتادة بدأت أشعر نحو عائلة المتوفى بشيء آخر غير العطف ومشاطرة الاحزان وذلك لعدم بدئها بالجنازة . وكم كان مقدار غيظي حينما أبلغني جاري الموظف انه قد تقرر في اللحظة الاخيرة ان يخرج المتوفى بجنازة عسكرية وانهم قد أرسلوا في طلب (طابور) من الجيش وعربة مدفع !

كنت أعلم بالطبع معنى ذلك . — لبثنا في الانتظار ساعة وربع ونحن جلوس في تلك الحرارة الشديدة ولكن

لما كنا فى شهر رمضان و كان المصريون المسلمون صائمين جميعهم فقد كان شعورهم بالحر أكثر منى بكثير .

ولما تحول بعد برهة من الزمن مجرى الحديث الي ذكر المتوفى لم يكن فيه شيء من الترحم أو ذكر محاسنه وفضائله بل و قال الموظف — وهو بخلاف لؤمه الدنئ ليس على شيء كبير من النباهة -- ان هذا الرجل (أي المتوفي) مازال دائما سيئ التصرف فى أعماله مشيرا بذلك فيما أظن الى موته في رمضان أو الى سوء تنظيمه لحفلة جنازته وهو قول رأيته قاسيا اذ ذاك .

وأخيرا سمعنا فى الشارع الفاظ السباب والتجديف الانجليزية فكانت علىّ برداً وسلاماً معلنة وصول ضابطين بريطانيين يتبعهما طابور نصف متمرد يلوح على جنوده انهم ارتدوا ملابسهم وهم قادمين في الطريق . ولكن (مافيش) عربة مدفع ويظهر انها قد طلبت للحضور فى ساعة متأخرة عن ذلك .

طال بنا الانتظار فأخذت أسلى نفسى باحناء رأسي

والابتسام لعدد مختلف من الوطنيين المتطرفين الذين كانوا
ينظرون الي شذراً من الطرف الآخر للسرادق . وكانت
هذه تسلية لطيفة مضحكة لأن أصدقاءهم بدؤا فى الحال
يبتعدون عنهم اعتقاداً منهم بأن هؤلاء جواسيس . ولقد
أحرجت مركز أحدهم وضايقته بلطفى وتوددى اليه
لدرجة انه اضطر الى الاعتذار بالمرض عن الانتظار وقام
يريد الانصراف فلحقت به عند الباب وشكرته على خدماته
وانى أعتقد انه مازال منذ ذلك اليوم يحاول عبثا تبرئة نفسه
من تلك التهمة ولا أظنه قد نجح فى اقناعهم بأن ذلك لم
يكن الا مزاحاً منى ولهوا .

ولكنى أخيراً سأمت هذه التسلية وبدأت أشعر
علاوة على ذلك أننى آخذ بسبب عرقى وذوبانى المستمر فى
التبخر والتلاشى من الوجود .

وكان الموظف يخرج من حين لآخر زفرات ألم عميقة
من شدة الحرارة والاعياء تتخللها شتائم باللغة العربية من
أقبح ما يكون ثم اخرج اخيراً ساعته ونظر اليها فتغير لون

وجهه من القرمزى الى الاسود وشهق قائلا « فطوري . سوف أتأخر عن طعام الفطور » ثم وقف على قدميه معلنا انه يجب حمل المتوفى على الاعناق حيث ان مشيئة الله قد تقضى بان لا تحضر مطلقا عربة المدفع فتصاعدت من المشيعين أصوات تكاد تشبه التهاليل و الهتاف وأنزلت الجثة في نعش له يدى مكنسة قد غطى بقطعة من القماش وبدأ سير الجنازة على نغمات لحن المآتم (الذي لم يتقن توقيع ألحانه بل أسرع فيه اسراعاً مخلا وذلك لأننا كنا متأخرين)

سرت والموظف فى طليعة جمع مختلف الالوان والاشكال من المشيعين الذين قد أنهكهم التعب ونحن نتعثر فى تراب شوارع مصر القديمة وقاذوراتها

ولما ان استعاد الموظف وجاهته وشعوره بأهميته وهى كما أعتقد اضخم من صديريته أخذ فى تنظيم سير الجنازة وارسال الارشادات والنصائح الى الضباط الحربيين عن الكيفية المثلى لتسيير الجنازات العسكرية .

ولكن رسله الذين أرسلهم عادوا (وشهم زى قفاهم)

وعلى وجوههم سيماء من قد حلت بهم النكبات .

اما أنا فقد امتنعت حكمة مني عن التكلم مع القومندان البريطانى وانى واثق من ان الباشا لو كان علم اي ملقي قد لاقاه رسله لأبقي نصائحه وتعليماته الى فصل آخر يكون أقل حرارة وأكثر اعتدالا .

دبت فى صاحب السعادة الحمية والحماس العسكري فأخذ يبذل مجهودا هائلا في وزن خطاه على نغمات الموسيقى وراح يقفز قفزة صغيرة كلما ظن انه أخطأ الحساب والوزن في مشيته وهو خطأ كان متوسطه مرة واحدة في كل اربعة خطوات .

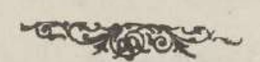
فظن المشيعون ان هذا جزء من طقوس الجنازة العسكرية وراحوا هم ايضاً يقلدونه بكل دقة واتقان . ولقد القيت نظرة واحدة الى الخلف لم أجسر بعدها على اعادتها خوفاً من فضح نفسى وايلام شعور المشيعين ولكنى لن أنسى ذلك الجمع من الناس ذوي الاجسام الضخمة الملتهبة حرا المتصببة عرقا وهم ينطون ويقفزون بوقار وهيبة

فى ذلك الطريق المتقد بحرارة الشمس وقد ارتسم الألم الشديد على ملامح وجوههم المريضة السريعة التأثر .

حدث حادث آخر كاد هو ايضاً يستفزني الى عمل ما قد كان يقضي على سمعتى وذلك ان (مولويا) عجوزاً او ناسكا تركياً أظهر رغبته في حمل النعش ولقد قصد الشيخ المسكين بذلك ان يضع يده على احدى أيدى النعش لكى تحل به البركة ولكن ذلك لم يرد فهمه على حقيقته البستانى القذر المتصبب عرقا الذي كان اضطر الى حمل النعش فانه أسرع بوضع يد النعش على كتف الشيخ العجوز الذي خر للحظتها مطروحاً فى الطريق وراح محمولا الى داره فى حين اسرعت انا والموظف الى الامام ومنعنا بالكاد حدوث نكبة . (يعنى وقوع النعش على الارض)

فأعلن الموظف بصوت عالت نبراته على نغمات الموسيقى رأيه فى البستانى وعائلته بين دمدمة الاستحسان من المشيعين ثم استأنف نطه وقفزه بثبات عابس كئيب .

وأخيراً وصلنا والحمد لله الى المسجد حيث — حسبما جرت به العادة — أمكنني ان أفارقهم وأعود ادراجي .



مراسلات

رسمية

١٩١٦



مراسلات رسمية

١٩١٦

١ يناير . من وزارة الخارجية الي القاهرة

رقم ١٠١ - رئيس وزراء اليونان يرغب توريد حبوب .
هل يمكنكم عمل هذا ؟

٤ يناير من القاهرة الى وزارة الخارجية

رقم ٤١٦ - برقيتكم غير مفهومة . أين يريد التوريد ؟
أفي مصر ؟

٨ يناير . من وزارة الخارجية الى القاهرة

رقم ١٠٣ - رئيس وزراء اليونان يرغب استيراد حبوب
لليونان هل يمكنكم عمل هذا ؟

١١ يناير . من القاهرة الى وزارة الخارجية

رقم ٤٢٠ - برقيتكم ١٠٣ - لقد سبق لنا عمل هذا عدة
مرات

١٢ يناير • من وزارة الخارجية الي القاهرة

رقم ١٠٨ - نأسف لضياع نسخة البرقية ١٠٣ • - ما الغرض منها ؟ أرسلوا نصها ان أمكن •

١٤ يناير • من القاهرة الي وزارة الخارجية

نسخة برقيتكم ١٠٣ ضاعت هنا للأسف • - نعتقد أنها بخصوص رئيس وزراء اليونان

١٦ يناير • من وزارة الخارجية الى القاهرة

رقم ١٠٨ - رئيس وزراء اليونان يرغب استيراد حبوب لليونان هل يمكنكم عمل هذا ؟

١٩ يناير • من القاهرة الى وزارة الخارجية

رقم ٤٢٨ - برقيتكم ١٠٨ - لقد وردنا حبوبا لليونان مرارا وكان المعتقد أنها تتسرب الي الجيش الالمانى

٢٢ يناير • من وزارة الخارجية الي القاهرة

رقم ١١٢ - برقيتكم ٤٢٨ • في حالة ما اذا قمتم بتوريد حبوب لرئيس وزراء اليونان هل في وسعكم اقتراح اجراءات تضمن عدم تسربها الي الجيش الالمانى ؟

هل تكفي ضمانة رئيس الوزراء الشخصية ؟

٢٤ يناير . من القاهرة الى وزارة الخارجية

رقم ٤٣٠ - برقيتكم ١١٢ - ضمانة أي رئيس وزراء تعنون ؟ أنا نفضل المسيو بريان اذا كان لايزال في منصبه .

٢٧ يناير . من وزارة الخارجية الي القاهرة

رقم ١١٤ - برقيتكم ٤٣٠ - انا نقصد رئيس وزراء اليونان - أرجو أن تبلغونا رأيكم بأسرع ما يمكن لان المسألة مستعجلة لاتحتمل التأخير .

٨ فبراير . من القاهرة الى وزارة الخارجية

رقم ٤٣٥ . برقيتكم ١١٤ - لعدم التأخير نقترح ضمانة رئيس وزراء اليونان الشخصية كتابة ومؤشرا عليها من القنصل البريطاني في بيريه مع موافقه الحكومة البريطانية ومدير عموم ادارة الجمارك بالاسكندرية .

١٠ فبراير . من وزارة الخارجية الي القاهرة

رقم ١١٨ - برقيتكم ٤٣٥ - اتفقنا على ان نكتفي بضمان من ملك اليونان والارشمندريت ورئيس وزراء اليونان بصفتهم متضامنين معا ومؤشر عليه من مستر كارل سونشين

أ كبر تاجر بريطاني في بيريه . - أى كمية يمكنكم ارسالها ؟

١٣ فبراير . من القاهرة الى وزارة الخارجية

رقم ٤٤٠ - برقيتكم ١١٨ - سنرد عليكم بأسرع ما يمكن ولكن لا مفر من حدوث شيء من التأخير لاننا غير متأكدين أى مصلحة في الحكومة المصرية هي المختصة بهذه المسألة — . لقد تحرينا بدون جدوى حتى الآن من المجاري الرئيسية والمعارف والحربية والزراعة والاشغال العمومية والاوقاف — سنبرق اليكم ثانية فيما بعد

٢٣ مارس . من القاهرة الى وزارة الخارجية

رقم ١٥٠ — نأسف لتأخير الرد على برقيتكم ١١٨ — المسألة معقدة جدا — برقيتكم ٤٨٨ - السلطات البحرية تعارض في تصدير الحبوب لأن حبوبا كثيرة تحتوي على زيت يصلح للغواصات . هل يمكنكم الاتفاق مع وزارة البحرية ؟

٢٦ مارس . من وزارة الخارجية الى القاهرة

رقم ٤٩٥ - برقيتكم ١٥٠ . اتفقنا مع وزارة البحرية . ستتولى حراسة الحبوب اساقفتان

٢٨ مارس . من وزارة الخارجية الى القاهرة

رقم ٤٩٩ ـ الحاقا ببرقية ٤٩٥ ـ تحققنا ان مسألة الحب هي أقل اهمية مما ظننا اولا فقد كتب رئيس وزراء اليونان مبينا انه يريد الحب لببغائه العزيز وهو كبير في السن وضعيف. يكفي رطلان من الحب المنتقى — أرجوكم شراءهما — ترى وزارة البحرية والحالة هذه أن لاضرورة للحراسة .

٣١ مارس . من القاهرة الى وزارة الخارجية

رقم ١٦١ ـ برقيتكم ٤٩٩ ـ سنأخذ فى شراء الحب حالا . هل يمكنكم أن تفيدونى بوجه التقريب عن حجم الببغاء لانى أفهم بعد التحرى أن هناك علاقة مباشرة بين حجم الطيور وحجم حبوب الطعام .

٧ ابريل . من وزارة الخارجية الى القاهرة

رقم ٥٠٦ ـ برقيتكم ١٦١ ـ أوقفوا مشترى الحب .

٨ ابريل . من القاهرة الي وزارة الخارجية

رقم ١٦٥ ـ برقيتكم ٥٠٦ ـ أوقف مشتري الحب .

١٢ ابريل . من وزارة الخارجية الى القاهرة

رقم ٥١٠ ـ برقيتكم ١٦٥ ـ أبلغت أن ببغاء رئيس اليونان قدمات في الاسبوع الماضى بعسر الهضم ولذلك لا أري ضرورة لعمل شيء آخر فى المسألة .



Twitter: @sarmed74 Sarmed- المهندس سرمد حاتم شكر السامرائي
قناتنا على التليجرام: كتب التراث العربي والاسلامي Telegram: https://t.me/Tihama_books